مسؤولية الأديب المسلم
في مواجهة التحديات
دراسة تحليلية نقدية

للدكتوره
أماني محمد عبد الفتاح
المدرس بقسم الأدب والنقد بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ .. رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾

(٢٦) سورة طه

اللهم صلي وسلم وبارك على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين

تمهيد:

تجلت عظمة الأدب الإسلامي في التزامه بالعقيدة الإسلامية واستلهامه لنبضها وفيوضها واعتماده على حدودها ومعالمها الربانية، فالأدب والدين صنوان، وهما " انطلاق من عالم الضرورة، وكلاهما شوق مجنح لعالم الكمال، وكلاهما ثورة على آلية الحياة ".[1] ولم يكن الإلتزام الأدبي بالإسلام بدعاً في عصرنا الحديث، ولكن الذين تربوا على موائد الثقافة الغربية فقلدوا تقليداً أعمى وأصبحوا ألسنة للتغرب والتبعية هم الذين أطلقوا هذه الفرية، فمنذ أن شرفت السماء الأرض وأهلها بنزول الإسلام على أشرف الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي عهود أصحاب الخلافة الراشدة، وفي عصور القوة والفتوحات الإسلامية . كان الغالب على الأدب هو التمسك بالعقيدة الإسلامية وقيمها ومبادئها على الرغم من انحراف بعض الشعراء عن ذلك المنهج الرباني وإن بدا كثرة عددهم إلا أنهم ثلة منحرفة عملت على شهرتها وذيوعها أيدي الفتن والمؤمرات التي حيكت ضد الأمة الإسلامية طوال عصورها ولا زالت .

ومصطلح الأدب الإسلامي نادى به المنادون في عصرنا الحديث لكي ينافحوا به عن هوية الأمة ودينها وثقافتها وحضارتها، ولكنهم واجهوا حملات مسعورة أرادت الفتك به قبل أن يبث الوعي وينتشل الأمة من غفلتها، فعظمت التحديات وتضاعفت المسؤوليات وأصبح على الأدب والأديب المتمسك بالمنهج الإسلامي أن يواجه تلك التحديات وأن يتحمل مسؤولية الأمانة الملقاة على عاتقه للذود عن دين الله والأمة الإسلامية من كيد أعدائها، لذا تعرض تلك الورقة العلمية لموقف الأدب والأديب الإسلامي من التحديات التي تواجههما والمسؤوليات المنوطة بهما حتى لا تذوب هوية الأمة في عصر العولمة مثيرة لبعض القضايا

(١) منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، ص٥.

والإشكالات، كالإفتراءات التي رمى بها الغرب وأذنابه من الحداثيين والمغتربين المنفصلين عن دينهم وهويتهم لهذا الأدب ورواده، فتبين ملامح الأدب الإسلامي ومعايير الأديب المسلم نحو الإبداع وموقفه من النظريات الأدبية ودوره الحضاري في العبور إلى الآخر والتعبير عن هويته وأصالته وعدم الإنسلاخ عن عصره وهموم أمته الإسلامية بما فيها من معاناة وقضايا ومواقف في خضم الحياة الاجتماعية والثقافية والأدبية وما يناط به من مسؤوليات تجاه التراث واللغة العربية والناشئة وموجات المد الأدبي وبذلك يتضح للقارئ المثقف معالم الطريق وتبرز قسماته، ويكفيني شرف المحاولة النقدية التي تعتمد على الحيدة في عرض الآراء وتفنيدها ، وعرض النماذج الواعية المشرقة المشرّفة لحاملي لواء الأدب الإسلامي والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

هذا وقد وزعت الدراسة على عدة مباحث تتكامل وتتضافر لتبرز مسؤولية الأديب المسلم الملتزم في عصرنا الحاضر في مواجهة التيارات العاصفة التي تؤدي به الذوبان في خضم التوجهات الضالة . وتتلخص تلك المباحث والجزئيات فيما يلي:

١) التعرف على التحديات العامة المتمثلة في التهجم على الثوابت المقدسة، والأصول التي لا قوام للعقيدة الإسلامية الصحيحة بدونها، وكذا زرع اليأس وزعزعة اليقين في نفوس المسلمين في العصر الحاضر لتشكيكهم في قدرتهم على النهوض ومواكبة ركب التقدم .

٢) إبراز التحديات الخاصة التي تنبع من واقع الحركة الأدبية الإسلامية على ضوء ما هو مثار على الساحة، وما يتردد في بعض الأوساط، مما يتصل بمفهوم الأدب الإسلامي، ودور الأديب المسلم، وتناولت في هذا المبحث اختلاف وجهات النظر حول مصطلح الأدب الإسلامي، وتقويم

التجربة بأسرها، وناقشت أبرز الاتهامات التي توجه له، وفندتها مؤيدة ما ذهبت إليه بالشواهد والدلائل .

٣) المسؤوليات المنوطة بالأديب المسلم، والملقاة على عاتق دعاة الأدب الإسلامي ومنظريه، وطرحت في ذلك المبحث الغايات المستهدفة، والآمال الطموحة التي تدفع بالأدب الإسلامي إلى آفاق رحبة، مثل التواصل مع الآخر، والمواءمة بين الأصالة والعصرية، وعرضت من خلال ذلك نماذج عديدة حقق من خلالها الأديب المسلم ذاته، وارتاد دروباً متنوعة، ووضع معالم رائدة تعد مفخرة للأدب الإسلامي وللأديب المسلم في آن، واجتهدت أن تكون تلك النماذج متنوعة، لا تقتصر على الشعر وحده، بل تتنوع لتشمل الشعر الجديد، والمقالة في ثوبها القشيب، والقصة المصورة للواقع، ولم أغفل في نهاية المطاف دور النقد والناقد المسلم الذي تشربت روحه مباديء الإسلام، وأهمية هذا النقد في توجيه شداة الأدب الإسلامي ومتذوقيه، لإثراء تجاربهم وحياطة مسيرتهم بالنصح والتوجيه .

وعلى الله قصد السبيل ومنه العون والتوفيق .

الباحثة

المبحث الأول
التحـدِّيـات العامـة

وهذه التحديات ليست قضية الأديب المسلم وحده ولكنها قضية المسلم المعاصر عامة في خضم العلمانية التي تسيطر على العالم لكي تعود به إلى الجاهلية، تلك الجاهلية التي أغوت الإنسان وأفقدته صوابه وأبعدته عن دربه ومهمته في الحياة، والتحديات التي يواجهها المسلمون سواء من الغرب أو من أذنابه كثيرة لا حصر لها من أهمها الواقع الفكري والاجتماعي المأزوم الذي تعيشه الأمة المسلمة، فهي بلا شك تعاني من حالات تخبط وتدهور واضحة على كافة الصُعد والمستويات، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، فضلاً عن توقف عجلة التطور العلمي الفاعل وانحسار عملية المشاركة في قضية التلاقح الثقافي والتبادل المعرفي مع بقية الحضارات والأمم منذ أفول شمس الحضارة الإسلامية. ومن أهم تلك التحديات التي يروج لها الغرب وأذنابه في مجتمعاتنا وأمتنا الإسلامية ويواجهه المسلم في واقعه مراراً وتكراراً:

١) التهجم على المقدسات الدينية:

وذلك نابع من الاستهانة بتلك المقدسات وعدم اعتبارها من الثوابت، بينما يعد احترام العقل البشري من الثوابت التي ينبغي ألا تمس! ولذلك نرى المفكر أو الأديب يبيح لعقله " لأنه يقدسه " أن يزدري الدين " لأنه لا يقدسه ".

ومن الأمثلة على ذلك الهجوم على الإسلام عن طريق استخدام الأدب كوسيلة لبث السموم وتضليل الفكر ونشر المغالطات والإفتراءات والإطاحة بالمقدسات ولاسيما الإسلام، نجد خططا مدروسة ومخططات صهيونية صليبية يدأبون عليها من أجل التشكيك في القرآن والنبي ﷺ وأمهات المؤمنين بل الأكثر من ذلك التجرأ على الله أيضاً. وقد نجد هذه الموجة التهجمية الإباحية المخزية لفطرة الإنسانية على الصعيد الأدبي مستخدمة فن الرواية لأنها أكثر فنون الأدب انتشاراً وقبولا بين الناس، من أمثال روايات أولاد حارتنا، الآيات الشيطانية، مسافة في عقل رجل، وليمة لأعشاب البحر. – وانتهاء بالرسوم المسيئة للرسول ﷺ – كل ذلك في إطار الحرية الشخصية والفنية وحصانة التأليف الأدبي التي تتجاوز حدود

الحريات الفكرية المسموح بها في مجتمع من المجتمعات، وهي دعوة لتهريب الفكر المعادي للدين تحت عباءة الفن واستغلالاً للغة والأدب لقول ما لا يقال في لغة الفكر من خلالها، وتستراً برموزها وكثافة دلالاتها وعدم مباشرة مضامينها.

ومما لا شك فيه أن هذه الأعمال وغيرها الكثير تعبر عن ظاهرة موجودة في الغرب وفي بعض البلدان الإسلامية وهي ظاهرة تسخير اللغة الأدبية الفنية لكتابة أعمال تتصدى للإسلام والصحوة الإيمانية بشكل أو بآخر لتتكامل مع النشاطات الصحفية والفكرية الموجهة ضد الإسلام لكنها في الوقت نفسه تنتحل لنفسها حصانة الإبداع الأدبي، وتتوسل إلى انتباه القراء والنقاد وقبول الجمهور برداء الخلق الفني.(١)

فتغريب المسلم عن دينه ومنهجه وتصوره الإسلامي من النزعات التي يعمل على تأكيدها وترسيخها الغرب ليل نهار ومنها أيضاً الفصل بين الدين والحياة، وهدم ثقة المسلمين بماضيهم وتراثهم. فنرى أحد الكتاب الذين أشربوا منهج الغرب يقول:" إنك لكي تتقدم من حالة إلى حالة لابد أن تعد الحالة الأولى متخلفة بالنسبة للحالة الثانية، ومعنى ذلك في عبارة صريحة هو أن الماضي دائماً وفي كل الظروف أقل صلاحية من الحاضر دائماً وفي كل الظروف. وها هنا نضع أصابعنا على ركيزة أولى لا محيص عن قبولها، إذا أردنا أن نتشرب روح عصرنا، وهي أن نزيل عن الماضي كل ما نتوهمه له من عصمة وكمال ".(٢)

إن الهجوم على الإسلام مخطط صهيوني، فقد دأب اليهود منذ فجر الإسلام على محاربته والنيل منه والسعي لإفساد شرائعه وتشويه مصدر أحكامه والقدح في رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وهذا المخطط الصهيوني لم يكف عنه أبناء صهيون حتى يومنا هذا، فإذا نظرنا مثلاً إلى بروتوكولات حكماء صهيون نجد في البروتوكول الرابع عشر ما نصه " عندما نصبح أسياد الأرض لا

(١) الهجوم على الإسلام في الروايات الأدبية، أحمد أبو زيد، ص١٠٥-١٠٦ بتصرف.
(٢) فلسفة الفن في الفكر المعاصروالنشاط الفكري عند دكتور زكي نجيب محمود،، د. زكريا إبراهيم، ص١٣٩٩، ط مصر ١٩٦٦.

نسمح بقيام دين غير ديننا... من أجل ذلك يجب علينا إزالة العقائد، وإذا كانت النتيجة التي وصلنا إليها مؤقتاً هي خلق الملحدين، فإن هدفنا لن يتأثر بذلك، بل يكون ذلك مثلاً للأجيال القادمة التي ستستمع إلى دين موسى، هذا الدين الذي فرض علينا مبدؤه الثابت النابه وضع جميع الأمم تحت أقدامنا ".[١] وجاء في البروتوكول السابع عشر:" لقد عنينا عناية خاصة بالعيب في رجال الدين غير اليهود والحط من قدرهم في نظر الشعب، وأفلحنا كذلك في الإضرار برسالتهم التي تنحصر في تعويق أهدافنا والوقوف في سبيلها حتى لقد أخذ نفوذهم ينهار مع الأيام.[٢]

ولا يخفى علينا ما انساق إليه كثير من رجال الأدب حين أظهروا شخصيات رجال الدين ولاسيما في القصص والروايات بصور غير لائقة لا تتناسب مع مكانتهم وهيبتهم في المجتمع، حيث وسموا بكثير من صفات الجمود والتزمت و التخلف بل وسوء الأخلاق والمتاجرة بإسم الدين بحيث تصير مسخاً غير مقبول يبعث على الإشمئزاز، إلى جانب أنها تبدو بلا أي تأثير إيجابي في المجتمع، فتجرد دائماً من دورها الرائد وينسب لها الضد بحيث يظهر عدم جدوى الدين ورجاله أو الذين يتمسكون بالدين من الشخصيات العادية الممثلة لطبقات المجتمع البسيطة. ويظهر ذلك جلياً مثلاً من خلال الشخصيات الروائية لنجيب محفوظ كصورة " محمد حامد برهان " الأعور الأعرج في " الباقي من الزمن ساعة ". " والحاج رضوان الحسني " و " الشيخ درويش " في زقاق المدق (الذي يعلن أنه رسول الله بكادر جديد، وكان العامة يقولون إن الوحي ينزل عليه باللغتين العربية والإنجليزية)[٣]، فقد صوره بصورة الفاقد لعقله الذي يجري على لسانه مثل ذلك الكلام.

(١) الهجوم على الإسلام في الروايات الأدبية، أحمد أبو زيد، ص٢٨.
(٢) المرجع السابق نفسه، ص٢٨.
(٣) نجيب محفوظ الرؤية والأداة، د. عبد المحسن طه بدر، ص٣٥٣.

أما الحاج رضوان فيأتي وصفه في فصل من فصول الرواية على النحو التالي: (السيد رضوان ولي من أولياء الله، أو هذا ما يتظاهر به أمام الناس، فإذا قال رأياً لا يبالي مصلحة الناس في سبيل اكتساب الأولياء أمثاله، فسعادتي أنا لا تهمه في كثير أو قليل. ولعله تأثر بقراءة الفاتحة، كما ينبغي لرجل يرسل لحيته مترين، فلا تسأليه عن زواجي، واسأليه إن شئت عن تفسير آية أو سورة. أما والله لو كان طيباً كما تزعمون لما رزأه الله في أبنائه جميعاً، هو فاضل إن أردت، وولى من أولياء الله إن شئت. ونبي أيضاً إن أحببته، ولكنه لن يقف حجر عثرة في سبيل سعادتي).[١]

ولا تخفى السخرية الظاهرة والباطنة على لسان حميدة في قولها السابق فقد أراد الكاتب (أن يسخر من الحاج رضوان لسببين: أولهما شكلي في قول حميدة: لعله تأثر بقراءة الفاتحة، كما ينبغي لرجل يرسل لحيته مترين. مع أن المسألة من قبل الحاج رضوان ليست تصنع التمسك بالدين، وإنما الدين يوصي المسلمين بألا يخطب المسلم على خطبة أخيه. وثانيهما: أن المؤلف على لسان حميدة " العاهرة " يقرر رأياً في رجل ارتبطت صورته بالدين ومن ثم بالإحترام في نظر " الزقاق " الجاهل. والكاتب يريد أن يبرز أن الحاج رضوان غير جدير بالنظر في شؤون الدنيا مثل زواج حميدة، وإنما الذي يفهمه هو تفسير آية أو حتى سورة وهذه الأمور من وجهة نظر المؤلف المتوارية وراء حميدة لا تغن ولا تسمن من جوع، ولا قيمة لها بزعمه في الميزان الاجتماعي).[٢]

وفي رواية أخرى وهي المرايا قدم الكاتب شخصية " زهران حسونة " حيث عرفه الكاتب يحتكر تجارة " الثقاب " و " المنكر " في السوق السوداء، ويبرز الكاتب ذلك التناقض في تلك الشخصية المتدينة فيسأله:

- ألا ترى يا حاج في العمل في السوق السوداء ما يناقض ورعك؟

---

(١) رواية زقاق المدق، ص١٢٩.

(٢) أدب نجيت محفوظ واشكالية الصراع بين الإسلام والتغريب، د. أحمد السيد فرج، ص١٤٢-١٤٣.

فأجاب بثقة

للدنيا أسلوب في المعاملة، وللآخرة أسلوب آخر.

- ولكن الله لا يرضى عن تجويع الفقراء

فقال باطمئنان:

- إني أكفر بالصلاة والصوم والزكاة فماذا تريد؟!

ويعلق الكاتب على ذلك الحوار بقوله: الرجل يرتكب الإثم عن علم لا عن جهل أو نفاق، ويثري ثم يلجأ إلى الدين ليكفر فتتحول سرقاته بقدرة قادر إلى ربح حلال. الدين عنده هو المشجع الحقيقي على ارتكاب كافة الآثام، ولذلك فهو يسرق قوت الفقراء، ويمضي ووجهه منور بالإيمان والطمأنينة.(١)

وحيث تظهر تلك الخسة والنذالة والسلبية واللادين للمتدينين عند أشهر كتاب الرواية العربية في العصر الحديث، فما بالنا بأتباعه الذين نجح الغرب في تقديم وتوظيف هذه الصورة في أدبه، على الرغم من أن صورة رجل الدين في الغرب تحاط بكل مهابة وتقديس وشرف ونزاهة وحب للخير، حيث نجد الحركات التبشيرية تضع الأدب وفنونه في المكان الصحيح وتتخذ منهجاً خاصاً يتميز بالتمسك الشديد بالقيم الجمالية للشكل الفني إلى جانب عدم المساس بالقيم والعادات والتقاليد المتعارف عليها عندهم، ويمكن أن نوجز بعضاً من ذلك المنهج الذي قدمه فقيه الأدب الإسلامي الراحل الدكتور نجيب الكيلاني قائلاً:

أ) تصور القساوسة والرهبان ورجال الدين بصورة ملائكية فريدة، فهم يخوضون الأخطار دون خوف، ويقتحمون المشاكل في حلم وروية، ويتسمون بجمال الملامح، ورقة المشاعر، وجلال المظهر، وتألق الثياب، وانتقاء الكلمات الحلوة المؤثرة، والتعاطف البالغ دون أن يأنف أحدهم من القيام بعمل من الأعمال مهما كانت طبيعته.

(١) أدب نجيب محفوظ، ص١٨٦ بتصرف.

ب) تقدم المنح والمساعدات الدراسية لمن يلحق بركبهم، وإبرازه في صورة الإنسان المتحضر الواعي، الذي تتغير حياته تغيراً جذرياً لسبب رئيسي واحد ألا وهو اعتناقه للمسيحية.

ج) تنفر من الإنحرافات بأسلوب فني ناجح، وتجنب الصدام في البداية مع العادات والتقاليد العتيقة، ومعالجتها بأسلوب دقيق ماهر.

د) تسلط الأضواء على نماذج من الرجال والنساء يضحون بحياتهم، ويبذلون دماءهم من أجل سعادة الإنسان ورقيه، وجعل تلك النماذج مثلاً يحتذى في التضحية والفداء.

هـ) تنال بطريق غير مباشر من مختلف العقائد والديانات المنافسة وإظهارها بمظهر الإنحراف والجمود والدجل ".[١]

ولم يكن ما سبق هو دأب نجيب محفوظ وحده، بل كثير من أتباعه وتلاميذه المشهورين من أمثال يوسف إدريس حينما صور موقفه من الدين في وصفه الساخر للمسجد حينما قال: " والجامع كان يقع في زاوية القرية الغربية، جامع مبنى بناء رخيصاً من الطوب النيِّ، ومئذنته قصيرة تبدو كالإصبع المرفوعة المبتورة ".[٢]

لا شك أن ذلك التهجم باسم حرية الفن يأباه المنصفون من الأدباء والنقاد ولذلك نرى الأستاذ توفيق الحكيم الذي كان يدافع دائماً عن حرية الأديب إلا أن هذه الحرية في رأيه لا تتنافى مع الالتزام يقول: " الأديب يجب أن يكون حراً، لأن الحرية هي نبع الفن، وبغير الحرية لا يكون أدب ولا فن... ثم يعلن أن حرية الأديب لا تتنافى عنده مع مبدأ الإلتزام، فهو يريد أن يكون إلتزام الأديب أو الفنان شيئاً حراً ينبع من أعماق نفسه إذ يجب أن يلتزم وهو لا يشعر أنه يلتزم ".[٣]

---

(١) آفاق الأدب الإسلامي، د. نجيب الكيلاني، ص١١٣- ١١٥،بتصرف ط أول مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥.

(٢) الحرام " رواية "، يوسف ادريس، ص٧٤، مكتبة غريب مصر.

(٣) الأدب بين الالتزام والإلزام، د. عبد القدوس أبو صالح بتصرف ، انظر موقع الشبكة العنكبوتية .

http://www.islamtoday.net/hk/muhakah_view.asp?nush_no=16

وبذلك نرى أن الأديب الذي يسير على درب التصور الإسلامي لا يمكن أن يسيئ إليه بأي حال من الأحوال أو تحت أي شكل من الأشكال مهما عظمت التحديات لأن التزامه هذا نابع من إيمان صادق واقتناع قوي به، ولذلك نرى أن وصف المسجد الذي جاء بذلك الشكل السقيم عند يوسف ادريس، جاء مغايراً تماماً عند محمود مفلح مثلاً حيث يصف الكاتب وقع رؤية المسجد على شخصية " عادل " في قصته المرفأ فيقول: " رأى مئذنة المسجد القريب شامخة، شاهقة، مغسولة بوهج المساء، تعكس أحزمة من الذهب اللامع... ابتسم وهو يردد ما أروعك وأنت تشمخين هكذا فوق العمارات وسكانها، فوق الضجيج والصفير، فوق الأرصفة والراكضين عليها ".[١]

هذا ولم يكن حال الشعر بأفضل من حال القصة والرواية على الساحة الأدبية عند الحداثيين والتنويريين في أدبنا العربي ومن أشهرهم من المسلمين أدونيس ونزار قباني وصلاح عبد الصبور الذين غرقوا في نزعاتهم التغريبية الحداثية، وقد بين أدونيس بكل صراحة أن الحداثة ليست تحديثاً للشكل، وإن كانت انطلقت من دعوى التجديد في الشكل الشعري لتصل إلى مضمون الحداثة بمعناها الفلسفي الشامل حيث يقول: " لا يكفي أن يتحدث الشاعر عن ضرورة الثورة على التقليد، وإنما عليه أن يتبنى الحداثة. وليست الحداثة أن يكتب قصيدة ذات شكل مستحدث، شكل لم يعرفه الماضي، بل الحداثة موقف وعقلية، إنها طريقة نظر وطريقة فهم، وهي فوق ذلك وقبله ممارسة ومعاناة، إنها قبول بكل مستلزمات الحداثة: الكشف، والمغامرة، واحتضان المجهول ".[٢]

وذلك ما يعبر عنه من خلال أشعاره فيقول في قصيدة " الاله الميت ":

اليوم حرقت سراب السبت سراب الجمعة
اليوم طرحت قناع البيت
وبدلت إله الحجر الأعمى وإله الأيام السبعة
بإله ميت[٣]

---

(١) المرفأ " مجموعة قصصية ": قصة المرفأ، محمود مفلح، ط دار المعرفة، دمشق.
(٢) الأدب بين الالتزام والإلزام، د. عبد القدوس أبو صالح.
(٣) قصيدة الإله الميت– أدونيس، انظر موقع الشبكة العنكبوتية =

ويقول في قصيدة " حوار ":

من أنت، من تختار يا مهيار؟
أنى اتجهت، الله أو هاوية الشيطان
هاويةٌ تذهب أو هاويةٌ تجيء
والعالم اختيار
– " لا الله أختار ولا الشيطان
كلاهما جدار
كلاهما يغلق لي عينّي –
هل أبدل الجدار بالجدار
وحيرتي حيرة من يضيء
حيرة كل من يعرف كل شيء... "[١]

لاشك أن هذا الخطاب الحداثي الأدونيسي قد فرض نفسه على الثقافة العربية عن طريق صناعة ما يسمى بالشخصية الشعرية التي تغامر بل تقامر بكل شيء من أجل الشعر، على الرغم من أنه يتعالى عليه بل إنه كما يقول عبد الله الغدامى: " يشرع في احلال نفسه محل كل ما عداه وفوق الجميع، فهو الخلاصة الكونية، وهو الحق المطلق ".[٢] ومهما كان له من مؤيدين يبررون تلك النظرة المنفلتة للكون بإسم الفلسفة والرموز الصوفية المفرغة تماماً من مدلولها الديني التي تبرز " الثقافة السلطوية التي نحيا في كنفها بما تحمله من تركه الماضي الرمزية الثقيلة، كما أنها تطرح طبيعة علاقة المعرفة والحقيقة بالسلطة، كما أن هذه اللغة

=http://www.adab.com/modules.php?name=sh3er&douhat=shqas&qid=72666

(١) قصيدة حوار – أدونيس، المرجع السابق نفسه.

(٢) الشعر والوجود، عبد الكريم درويش، انظر موقع الشبكة العنكبوتية
http://maale.50megs.com/seventh_issue/poetry_and_leing.htm

المجازية تفسر طبيعة الفجوة بينها وبين اللغة الحرفية، فضلاً عن تأثيره بكبار الفلاسفة القدامى والمحدثين ".[١]

مهما كان الأمر فإننا كمسلمين لا يمكن أن نقبل بأي حال من الأحوال ذلك االتجرؤ والتبجح والإنفلات باسم الحرية الفنية والفلسفية والنزعة الرمزية الصوفية وما عداها من مسميات ومبررات لأن ذلك ينافي الأدب الهادف الذي لا يكون نموّه انحرافاً ولا تبعية ولا هبوطاً.

٢) قتل الهمة في النفوس:

مما لا شك فيه أن توهين عرى الإلتقاء بين المسلم وتراثه العقائدي والتراثي والسلوكي من أجل قتل الهمة في النفوس بالتركيز على بعض الآفات الاجتماعية وتصوير المجتمعات الإسلامية على أنها مجتمعات غارقة في تلك الصور الهدامة – الجريمة بأنواعها والمخدرات – فضلا عن امتهان صورة المرأة وتصويرها بأبشع الصور، وإن صورت بصورة المتعلمة العاملة فتظهر بصورة التي تكافح وتناضل وتقاسي من أجل الحصول على المساواة التي حرمها منها الشرع، فهي دائماً مظلومة مفترى عليها من جانب الدين. هذا بالإضافة إلى الدعوة للعامية ومحاولة طمس الهوية العربية الإسلامية وتغريب الأمة ولاسيما شبابها عن لغتهم لغة القرآن الكريم وتراثهم.، إلى جانب تفحيم شأن الإسلاميين والتركيز على قلة تخدم أهدافاً علمانية أو صهيونية تحت مسمى الإسلام، حتى يظن الغفلة من الناس أن ما ينتجه أولئك هو الأدب المتميز الناضج. كما تسعى الآلة الإعلامية سعياً حثيثاً من أجل تعميق الجهل بين صفوف الأمة بهدف تفريغ الشعوب العربية من محتواها الأصل، وخلق حالة من العدمية للانتماء للأمة ولدين الإسلام، كل ذلك في إطار تزييف التاريخ والواقع والمصير للأمة الإسلامية .

يصور شاعرنا عدنان علي رضا النحوي هذا الضياع الخلقي الذي ذهب بشخصية الإنسان السوي أدراج رياح اللهو والمجون الذي هيأه ويسر سبله دعاة التغريب بفعل القسر الاجتماعي لإغراق الشباب في بحر اللذات . ولايخفى أن

---

(١) المرجع السابق نفسه بتصرف.

السيطرة على الفكر تمكن بعد ذلك من استباحة الأرض والعرض والكرامة فيقول:(١)

نزعـــت إلى دار تمـــوج بلهوهـــا فهل رفعت هما على القلب جاثيا!
هنالـــك أنغـــام الضـــياع تبعثـــرت علـــى رقصـــات نازفـــات مســـاويا
نشـــاوى يعـــانقن الغوايـــة شـــهوة ويســـكتنها أنى التفـــت مجاريـــا
وتنضـوى ذبـالات النهـى بـين همسـة ورعشـة شـوق تـترك القلـب ظاميـا
أولئـــك غـــابوا في ديـــاجير ســـكرة ولم تبـــق لـــذات الغوايـــة صـــاحيا
وخلفهـــم مكـــر العـــدو وبأســـه يعـــد إلى يـــوم اللقـــاء العواليـــا
يمـــد لنـــا لهـــوا نعـــب عبابـــه ويجـــرى لنـــا بحـــرا ويجـــرى ســـواقيا
ليغتـــال آمـــالاً وينهـــب نخـــوة ويطحـــن عزمـــاً أو يجـــر النواصـــيا

وتتضح إحدى صور إغتيال الآمال وقتل الهمة ووأد العزائم في النفوس عن طريق الإتكالية والسذاجة الممقوته وتشوية صورة الدين والعباد على لسان نزار قباني قائلاً:

ما الذي يفعله قرص ضياء / ببلادي
ببلاد الأنبياء / وبلاد البسطاء
ماضغي التبغ / وتجار الحذر
يتسلون بأفيون / نسميه قدر /وقضاء
فالملايين التي تركض من غير نعال
والتي تؤمن في أربع زوجات / وفي يوم القيامه...
تتردى... / جثثاً تحت الضياء
شرقنا المجتر... تاريخاً...وأحلاماً كسولة / وخرافات خوالى...
شرقنا الباحث عن كل بطولة
في أبي زيد الهلالي.(١)

(١) الإنسان في الأدب الإسلامي، د. محمد عادل الهاشمي،، ص٩٧ مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، العزيزية.

أما في قصيدة قراءة ثانية في مقدمة ابن خلدون فينفي كل صفة محمودة وُسم بها العرب في تاريخهم القديم بل إنهم منذ وفاة الرسول ثم مصرع الحسين سائرون في جنازة فيقول:

هذا هو التاريخ، ياصديقتي
من غير ما تعليق
وكل ما قرأت عن سيرتنا العطرة
من كرم...
ونجدة...
ونخوة...
والعفو عند المقدرة...
ليس سوى تلفيق...
هذا هو التاريخ، يا صديقتي
فنحن منذ أن توفي الرسول
سائرون في جنازة...
ونحن، منذ مصرع الحسين،
سائرون في جنازة...
لا تثقي، بما روى التاريخ، يا صديقتي
فنصفه هلوسة...
ونصفه خطابة...[٢]

أما أدونيس فيقول:

أحرق ميراثي، أقول أرضي
بكر، ولا قبور في شبابي
أعبر فوق الله والشيطان

---

(١) أحلى قصائدي، قصيدة خبز وحشيش وقمر، نزار قباني، ص١٤٩ وما بعدها.

(٢) قراءة ثانية في مقدمة ابن خلدون، نزار قباني، انظر موقع الشبكة العنكبوتية
http://nizar.ealuon.com/poet.php?action=fullnews&phaur.coments=1tid=2

دربي أنا أبعد من دروب
الإله والشيطان[١]

هذا هو المناخ الثقافي الذي يسيطر على شعراء الحداثة حاملاً في طياته نفوساً حائرة قلقة متمردة ساخطة منفصلة عن هويتها ودينها وحضارتها، وهم في ذلك متأثرون بالمنزع الرومنتيكي القلق الهارب من الحياة، فالرومنتيكي كما يقول د. غنيمي هلال: " غريب في عصره بشعوره واحساسه لأنه يحس بالتفرد والعبقرية... إنه يحب الحياة الغامضة ويضيق ذرعاً بالأشياء الثابتة المستقرة، ومن هنا فهو مغترب زمانياً ومكانياً ".[٢]

وانعكاسات الرومنتيكية – بما تحمله في طياتها من سمات القلق والغربة والهروب والإنغزال والتفرد والصراع والضياع، وحلم تحطيم أغلال التقاليد والعادات والشرائع والقوانين والحرية التامة وإطلاق العنان للمكبوت من الرغائب والنزعات والتحرر من أسر المخاوف والمحارم – تلقى بظلالها على شعر وشعراء الحداثة فهم في ذلك متأثرون بمن سبقهم من شعراء التجديد كشعراء جماعة الديوان، وأبولو، والمهجر.

فإذا كان إيليا أبو ماضي يقول:

إن جسمي عبدٌ لقلبي.. وعقلي ... عبد قلبي.. والقلبُ عبدُ شعوره
وشعوري عبدٌ لحسي وحسي ... هو عبد الجمال يحيا بنوره
كل ما بي تحت العبودية العمياء ... فوق الوجود.. بين شروره
غير روحي فإنها حرة تمشي ... بروض الخلود بين زهوره [٣]

(١) لغة الخطيئة، أدونيس، انظر موقع الشبكة العنكبوتية: http://www.adab.com/modules.php?name=sh3en&douhat=phqes&qid=72661

(٢) الرومنتيكية، د. غنيمي هلال، ص٣٦ بتصرف.

(٣) الشعر العربي في المهجر، محمد عبد الغني حسن، ص٢٦٤.

وإذا كان عبد الرحمن شكري الذي يصف الموت بالمعبد المقدس ومحبوبته بأنها شبيه الله في صفاته فيقول:

أيا معبداً.. قربانا فيه عيشنا
نضحى به لذاتنا والأمانيا
أحبك حبَّ الصبَّ وجه عشيقهِ
لينقع ثغرٌ منك صديانَ ظاميا
وأنت شبيه اللهِ في خير نعته
فإنك رحمن.. وإن كنت قاسيا[1]

فإن نزار قباني يقول:

أشهد أن لا امرأة إلا أنت
أشهد أن لا امرأة
قد غيرت شرائع العالم إلا أنت
وغيرت
خريطة الحلال والحرام
إلا أنت..
أشهد أن لا امرأة
تحررت من حكم أهل الكهف إلا أنت
وكسرت أصنامهم
وبددت أوهامهم
وأسقطت سلطة أهل الكهف إلا أنت
أشهد أن لا امرأة
استقبلت بصدرها خناجر القبلية
واعتبرت حبي لها

(١) ديوان عبد الرحمن شكري قصيدة الموت، ص٤٧.

خلاصة الفضيلة[١]

ولاشك أن الأدب الهادف يرفض تلك التجليات الهادمة التي تولد مسخاً مشوهاً يقلد ولا يبدع، يصرخ ويولول ولا يتكلم" يرفض الواقع ولا يقدم البديل، يتمرد ولا يتحرر لأنه يعيش أسيراً للنزعات والأهواء واليأس والغربة والضياع، بينما يظن أنه قد تحرر من قيوده وحطم قضبان سجنه وحقق الحرية المثلى لنفسه ولأمته ".[٢]

لذا يجب على الأديب الإسلامي أن ينهض بحمل الأمانة والمسؤولية، فيواجه ويدحض ذلك الأدب المنحرف عن الفطرة السليمة والإنسانية السامية وإلا فنحن أمام مستقبل معطياته الحالية لا تبشر بخير مما يجعل من واجبنا حماية ورعاية ودعم كل ما هو جميل وهادف وبناء.

وبعد الإنتهاء في العجالة السابقة من الحديث عن التحديات العامة التي تحيط بالمسلم المعاصر يواجهها يوماً بعد يوم بل جيلاً بعد جيل، ننظر في التحديات الخاصة التي يواجهها الأدب والأديب الإسلامي.

المبحث الثاني
التحدِّيات الخاصة

(١) قصيدة أشهد أن لا امرأة إلا أنت، نزار قباني، انظر موقع الشبكة العنكبوتية http://nizar.ealwan.com

(٢) قراءة جديدة في الشعر العربي الحديث، د. سعد دعبس، ص١١٥ بتصرف، ط أولى ١٩٩٠.

وهي تمثل من خلال الإفتراءات الموجهة إلي الأدب الإسلامي، ومن ثم الأديب المسلم، وهي ادعات وأكاذيب هدفها التشويش والتشكيك، ويلبسها بعض مروجيها صبغة النقد الموضوعي ومن أبرزها:

أ) الاختلاف حول المصطلح:

حيث كثرت الطروحات وتعددت المفاهيم التي طرحها المنظرون لرسم معالم الأدب الإسلامي، وهذه الصعوبة أو التحدي من الإشكاليات التي اشتجر حولها منظرو الأدب الإسلامي ودعاته ؛ إذ لم يتفقوا على تعريف أو مصطلح واحد له، ومن أشهر تعريفاتهم للأدب الإسلامي أسوق التعريفات الآتية:

يعرفه الأستاذ " سيد قطب " بقوله:

الأدب الإسلامي هو التعبير الناشيء عن امتلاء النفس بالمشاعر الإسلامية.(١)

ويعرفه الأستاذ محمد قطب بقوله:

الأدب الإسلامي هو الفن الذي يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود. هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان.(٢)

ويعرفه الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا بقوله :

" الأدب الإسلامي هو التعبير الفني الهادف عن وقع الحياة والكون والإنسان على وجدان الأدب تعبيراً ينبع من التصور الإسلامي للخالق عز وجل ومخلوقاته.(٣)

وهو عند الأستاذ محمد حسن بريغش:

(١) في التاريخ فكرة ومنهاج، سيد قطب، ص٢٨.

(٢) منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، ص٦.

(٣) نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، د. رأفت الباشا، ص٩٢.

" التعبير الفني الجميل للأديب المسلم عن تجربته في الحياة، من خلال التصور الإسلامي.[١]

أما الأستاذ نجيب الكيلاني فيحدد مفهوم الأدب الإسلامي بقوله:

" الأدب الإسلامي تعبير فني جميل مؤثر نابع من ذات مؤمنة، مترجم عن الحياة والإنسان والكون، وفق الأسس العقائدية للمسلم، وباعث للمتعة والمنفعة، ومحرك للوجدان والفكر، ومحفزلاتخاذ موقف والقيام بنشاط ما.[٢]

وهو لدى الأستاذ عماد الدين خليل:

" تعبير جمالي مؤثر بالكلمة عن التصور الإسلامي للوجود.[٣]

وأخيراً نجد أن التعريف المتفق عليه لدى رابطة الأدب الإسلامي العالمية هو: **الأدب الإسلامي هو التعبير الفني الهادف عن الانسان والحياة والكون في حدود التصور الإسلامي.**[٤]

ومن خلال العرض السابق لأهم آراء كبار الأدباء والنقاد حول مفهوم الأدب الإسلامي نلحظ أنها ربما اختلفت في المبنى ولكنها اتفقت إلى حد بعيد في المعنى والجوهر، حيث اتفقت بشكل مجمل على أن الأدب الإسلامي لابد أن تجتمع له صفتان الأولى: الأدبية " تعبير فني مؤثر "، والثانية: الإسلامية " حدود التصور الإسلامي "، ومن خلال هاتين الصفتين تتضح سمات وخصائص ذلك الأدب، فهو هادف، ملتزم، مسؤول، متكامل، مؤثر. وعلى ذلك فإن الأصوات التي ارتفعت تنتقد على الأدباء الإسلاميين عدم اتفاقهم على تعريف واحد يحدد رؤيتهم، أرى أن هذه الأصوات ليست محقة في اعتراضها وذلك لعدة أسباب من أهمها:

أولاً: صعوبة وضع تعريفات نهائية للعلوم الإنسانية وموضوعاتها، فالمسألة إذا ليست خاصة بالأدب الإسلامي.

---

(١) الأدب الإسلامي أصوله وسماته، محمد حسن بريغش، ص١١٤.

(٢) مدخل إلى الأدب الإسلامي، د.نجيب الكيلاني، ص٣٦.

(٣) مدخل إلى الأدب الإسلامي، د. عماد الدين خليل، ص٦٩ ط أولى مؤسسة الرسالة ١٩٨٧.

(٤) http://www.adabishlmi.org/arabic/abuotus.html

ثانياً: أن هذا التعدد يفتح المجال للاجتهادات ويوسع دائرة النقاش والمحاورة البناءة، وكثير من زوايا النظر مع بقاء الجوهر. وقد اتسع تراثنا العربي في مجال التعريفات لكثير من الخلافات في مجال الأدب والفقه واللغة، وكل هذه الخلافات مثلت عطاء فكرياً طيباً مازلنا ننتفع به حتى الآن.[١]

ثالثا: أن اختلاف الآراء لم ينل من الإتفاق على الثوابت التي تمثل جوهر الأدب الإسلامي الذي اتخذ من التصور الإسلامي روحاً، والجمال الفني جسداً له. وبهذا فلا مشاحة في الاصطلاح، لأن الغاية هي مواضعات ذلك الأدب وليس الوقوف على تسميته، فهو أدب مسؤول يعتمد على قوله تعالى: (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد).[٢] وهذا هو ضابط انتاج النص وتقويمه أيضاً.

* * *

فإذا نظرنا في الأدب العربي الحديث والمعاصر نجد كثيرا من النماذج الفنية التي وقفت عند حد الإبداع الذي يرجو الدنيا والمتعة الأدبية، وترك الآخرة أوعدم وضعها في الحسبان. ومن ثَمَّ خرج عمل الأديب الذي على هذه الشاكلة مقرونا بالمتعة الأدبية، ولكنه في كثير من النماذج والتجارب مصحوب بالإثم، فنجد على سبيل المثال شاعراً من هؤلاء الذين لا يقيمون للهدي الإسلامي وزنا وهو نزار قباني يقول في مطلع قصيدته " ضوء المنفى " :

لافضل لعربي على عربي
إلا بالبلوى...
فمساحة زنزاناتنا واحدهْ...
وموسيقى جنائزنا واحدهْ...
وتفاصيل موتنا واحدهْ...
إلى أن يقول:
الشعر العربي العظيم

---

(١) مقال: في حضور المصطلح، د. جابر قميحة مجلة الملتقى، ص٧٤-٧٥ بتصرف.
(٢) سورة ق الآية رقم ١٨.

كان دائما شعر مهاجرا... أو مهجرا
ولم يكن شعراً مقيماً
والإبداع العربي الأصيل
لم يحدث في رحم الوطن
وإنما حدث خارجه

ليس ضروريا أن نعيش في فندق الوطن
حتى نكتب عنه شعرا جميلا...
الوطن هو تشكيل ذهني
وعلاقة عشق سرية
يمكن أن تحدث...
في أي فندق في العالم
الإلتصاق الطويل بالوطن...
كالإلتصاق الطويل بالمرأة...
هو كارثة للشعر...
المنفى في كحل عينيك السوداوين
هو التعويض العادل
لتأسيس وطن بديل...(١)

ولا يخفى مفتتح القصيدة الملفت المتطاول، الذي لا يقبل معه تبريرات مثل التناص والاقتباس، فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، أصبحت لا فضل لعربي على عربي إلا بالبلوى...، وما في ذلك من تجاوز باسم الفن وحرية الأديب، فإذا كان التجاوز والتطاول يقترب من كلام " الرمز " وهو حديث الرسول ﷺ ، يهون عليه بعد ذلك كل شيء، وأي شيء، مهما كانت قداسته، فهو يرى الوطن بعد ذلك تشكيلا ذهنيا فحسب، ولا يخرج عن أن يكون علاقة عشق آثمة

---

(١) http://www.arsbcorner.net/page/poetry

لأنها سرية كما يقول، ونتساءل لماذا تكون سرية في الخفاء؟ ولماذا في أي فندق في العالم؟ ولا تخفى الإجابة، فهي كناية عن كونها رغبة عابرة، فهي علاقة عابرة تحدث في الخفاء لا يستطاع التصريح بها أو الإعلان عنها. هكذا الوطن في رأي نزار. والتعويض العادل والبديل للوطن هو السكنى في كحل العيون السود، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وبالمقارنة السريعة نجد المضمون نفسه " الوطن " يعبر عنه الشاعر محمد عبد الرزاق مصطفى برؤية مختلفة لا تصدف عن الحق، تأسى ،تتألم ، تكابد وتعاني، لكن لا يغتالها صدأ القيود فتمجد الوطن ولا تتركه يغرق في أتون الجراح وحده وتعلن الثبات على المبدأ والتعلق بأستار الوطن فإما النصر وإما الشهادة يقول:

عاشق أنت يا وطن الجراح
وقلبك الدامي يمزقه الهوى
تأتي رياح العشق مفعمة
بألوان الأسى
في صدرك المكلوم تنطق
كل حبات العيون
وتصفق الأكباد شوقاً
تفتلي فيه السنين
يأكل آيات الحنين
هذا هو الوطن الذي
عشق الجراح
وترعرعت في صدره
صور الكفاح

ثم يقول:

فالريح من كل الجهات

تميل بالنخل العتيد
وتميل بالزيتون واللوز العنيد
لكنها لا تخلع الوطن المطرز
في هتافات القلوب
فلينظروا فينا ملياً
ولينسفوا كل البيوت
فالأرض قاطبة لنا وطن
يجمعنا بها حب الشهادة
وحصونهم لم تردع البحر
المزمجر إن طغى
بهديره فوق الرعود
ودروعهم لن ترهب الأطفال
مهما أطبقوا ضيق الحصار
وسجونهم لن تقتل الإحساس
في أرواحنا – عشقاً– لهول الإنفجار
إنا عشقنا الإنتظار
كما عشقنا تربة الوطن
المفدى بالدماء... والإنتحار

فهواك يا وطني تحن
له أساطير الغرام
لتعلم الأجيال كيف
تعذب الأوطان بين
حبائل العشق المقدس!!!والحمام[١]

(١) http://www.palestine-info.cc/arabic/poems/hamasion.htm

وذلك هو الفرق بين الأديب الملتزم في أدبه بضوابط الشرع وغير الملتزم به، فالأول يرجو من الله ما لا يرجوه الثاني، فهما وإن اشتركا في جانب الإبداع إلا أنهما اختلفا في توظيف هذا الإبداع وتوجيهه واستثماره ؛ لأن مذاهبهم اختلفت فاختلفت معها غاياتهم أيضاً. وفي هذا الصدد تتركز أبيات ابن الرومي التي يقول فيها:

أخاف على نفسي وأرجو مفازها وأستار غيب الله دون العواقب
ألا من يريني غايتي قبل مذهبي ومن أين والغايات بعد المذاهب

وهو في هذين البيتين ينقل إلينا محاولة الإنسان الدؤوبة المتشوقة اللهوفة للوقوف أمام أستار الغيب المسدل لاستكناه ماوراءه، إلى أن يدرك انه ليس إلى ذلك من سبيل، وأن الغايات بعد المذاهب ولا يمكن أن تكون خلاف ذلك.(١) فقد نجح الشاعر في أن يفتح لنا مجالاً كونياً كبيراً وأن ينسرب بنا من لحظته الموقوته إلى مجال آخر فسيح حيث يقف الإنسان – وليس ابن الرومي وحده – أمام الأقدار الخالدة، حيث تصبح المعرفة الإنسانية عاجزة أمام الغيب الكوني المجهول.(٢)

إذا المسألة ليست اختلاف المصطلح، وإنما في الحدود والمعالم التي تحدد الأدب وفي الغاية التي يسعى إليها الأديب من خلال التزامه بالتصور الإسلامي الشامل للكون والحياة والإنسان.

ب) أنه أدب مناسبات:

وهذا يعني أن مهمة الأديب فيه تشبه مهمة الداعية أو الخطيب حيث نجد التقريرية والمباشرة ونجد الوعظ والإرشاد، فيصبح عمل الأديب ليس كمثل عمل الفنان الحقيقي الذي يمهد للتطور ويكشف عن مطالب الأمة النفسية والعاطفية كما تنعكس على نفسه.

(١) منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، ص٢٠٤–٢٠٥ بتصرف،، ط الرابعة دار الشروق ١٩٨٠،.
(٢) النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، دار الشروق، ط السادسة ١٩٩٠، ص٦٦ بتصرف.

وذلك الادعاء فيه مغالطة كبيرة، وهو من إسقاطات الآخر يطلقها تهما فنصدقها! فالفقيه والواعظ لا يكون أحد منهم أديبا، ولا يصدق على ما ينحتوه من القول سمة الأدب، وإن كانوا جميعا يحملون همَّ تربية السلوك، وكم هو الفرق بين الأدب الإسلامي والأدب الديني وأدب الزهد والرقائق والتصوف، إنه أدب لا يدعو إلى طائفية ولا إلى رهبانية، إنه أدب فكر وهم وإحساس إسلامي يلتمس فيه القارئ نصاعة الإسلام ونقاءه وسمو أهدافه ونبل غاياته.(١)

فالفن الإسلامي ليس بالضرورة هو الفن الذي يتحدث عن الإسلام . وهو على وجه اليقين ليس الوعظ المباشر والحث على اتباع الفضائل، وليس هو كذلك حقائق العقيدة المجردة، مبلورة في صورة فلسفية. فليس هذا أو ذاك فناً على الاطلاق. إنما هو الفن الذي يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود. هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان، من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان. هو الفن الذي يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال والحق. فالجمال حقيقة في هذا الكون، والحق هو ذروة الجمال. ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود.(٢)

* * *

وذلك الفهم لمعنى الأدب الإسلامي ودور الأديب المسلم في الحياة يتضح من خلال تلك الأمثلة لبعض الشعراء الإسلامين المعاصرين.

يقول الشاعر محمود مفلح:

في سبيل الله أمضي
وعلى هدى كتاب الله قد
أحكمت نبضي
أرتدى الفجر وأمضي في سبيلي

---

(١) من مقال النص الهادف تربية وتهذيب د. حسن بن فهد الهويمل بتصرف:انظر http://www.suhuf.net.sa/2005jaz/jun/21/or3.htm

(٢) منهج الفن الإسلامي، ص٦.

فإذا الشمس دليلي
وإذا الأنجم في قلبي وأعراس النخيل

وعلى هدى كتابي
أبصر الأشياء من خلف الضباب
وأرى الأوجه من غير قناعات ومن غير حجاب
وعلى هدى كتابي
أزرع النخلة في القلب أرويها شبابي[١]

ويقول الشاعر محمد التهامي:

إن قال داعي الحق من يتقدم فأنا الحقيقة كلها، أنا مسلم
يارب...شعري بالحقيقة هاما عبد اليقين ورتل الإلهاما
فيقينه حب يفيض عبادة ودعاؤه شعر يضيء كلاما
إن كان أجراه اللسان فإنه قلب يذوب تبتلاً وهياما
ودعاء مشتاق على درب الهدى يسعى ويكوى لهفة وغراما
ويرى ضياء المهتدين حياله فجراً يمزق حوله الإظلاما
فيرى بنور الله كونا سره فاق الشعور وجاوز الأفهاما [٢]

ويقول في قصيدة أخرى:

والمسلمون العابدون حياتهم ألق يضيئ وعزة ويقين
العلم والعمل الكبير حياتهم والكون فلك تحتهم مشحون
فيسخرون ترابه وبحاره ويفجرون جباله فتلين
من فضل خالقهم وفضل كفاحهم لا الخير مقطوع ولا ممنون

---

(١) أجنحة تفردها الحروف للشاعر محمود مفلح انظر: http://www.Palestine-info.cc/arabic/poems/ajneha.htm

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر التهامي، المجلد الثاني ص١٧، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢،.

ولهم شريعتهم ودون جلالها ... يتراجع التشريع والتقنين
أرست عدالتها السماء وساقها ... روح على وحى السماء أمين
والمسلمون حضارة علوية ... الأرض فيها للسماء تدين
إن كان في جوف التراب جذورها ... فلها على هام السماء غصون
الروح للعقل الكبير تقوده ... وترد عنه جموحه وتصون
وتحيله خيرا يعم ونعمة ... ما شابها شر به مفتون [١]

ويقول الشاعر عبد الرحمن العشماوي:

تموت المبادئ في مهدها ... ويبقى لنا المبدأ الخالد
مراكب أهل الهوى أتخمت ... نزولاً، ومركبنا صاعد
سوانا يلوذ بعرافة ... وأسطورة أصلها فاسد
نسير ونسمع من حولنا ... نباحاً ويرمقنا حاسد
يحدثنا الليل عن نفسه ... وفيه عن نفسه شاهد
إذا عدّد الناس أربابهم ... فنحن لنا ربنا الواحد [٢]

هكذا فهم أدباء الصحوة الإسلامية دورهم في الحياة ودور الكلمة أو الأمانة التي يحملونها وينبعون منها، إن المجال متسع أمام الأديب المبدع شريطة أن يصوره تصويراً صحيحاً ثم يتفاعل معه حسب تصور الإسلام " فإذا استشعر الأديب هذا الكون بجميع أشيائه بإحساس المسلم، ثم عبر عنه التعبير اللائق بالإحساس الإسلامي، أو بالإحساس غير المتصادم المتناقض مع المفهوم الإسلامي، فلا عليه بعدئذ، وليفعل بأدبه ما يشاء، إذ له مطلق الحرية، لا يحد من انطلاقاته أحد، ولا يحجر على رفرفاته حاجر".[٣]

ج) محدودية التجربة الشعورية:

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر التهامي، المجلد الثاني،ص٢٨-٩٢.

(٢) http://www.islamonline.net/arabic/arts/2005/04/article04.shtml

(٣) من قضايا الأدب الإسلامي، د. صالح آدم بيلو، ص٥٩. ط أولى دار المنارة السعودية، ١٩٨٥،

حيث يصبح الإلتزام الإسلامي لها قيداً فلا تستطيع الإنطلاق في آفاق الفن. والحق أن الأمر ليس كذلك، فالذي يحكم هذا الاشكالية علاقة الإبداع بالخير والشر، وهو موضوع أثير في فكرنا العربي القديم حتى رأينا ناقداً وأديباً كبيراً مثل الجاحظ في كتابه البيان والتبين يتداخل مع هذه القضية حين يحدثنا عن رأي " كلثوم بن عمر العتابي " في البلاغة فيقول: (حدثني صديق لي قال: كل ما أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ، فإن أردت اللسان الذي يروق الألسنة ويفوق كل خطيب، فإظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق) . والفقرة الأخيرة من التعريف السابق تبين النزعة الجدلية التي تجيز تصوير الباطل حقاً والحق باطلاً، وتتلاعب بالمنطق والألفاظ. والجاحظ نفسه في موضع آخر من كتابه السابق يتحرز مما يفسد الفن معنى ولفظاً حين يقول: ومن أراد معنى كريماً فإن حق المعنى الشريف هو اللفظ الشريف ومن حقهما أن يصونهما عما يفسدهما ويهجنهما.[1]

فالاتجاه بالأدب نحو الحرية المغلوطة والفن للفن والعبثية يردي إلى جحيم الرذائل التي تفسد الأدب وتهجنه لأنها تخالف الفطرة والذوق السليم ؛ لأن الالتزام ليس قيداً ولكنه سيظل دافعاً لمن فهمه وتمثله لمزيد من الابداع.

والذي لا مراء فيه أن التجربة الابداعية الإسلامية تجربة إيجابية بكل المقاييس لأنها تعتمد على إيجابية التصور الإسلامي الشامل للكون والحياة والإنسان، وهذه الايجابية تنعكس بلا شك على تجارب الأدباء الإسلاميين رؤية وأداء " أو من شأنها أنها تسري وتصبغ إبداعهم بصبغة السمو الروحي، والتفاؤل المشرق حيث لا تغرق الرؤي في ضباب الأحزان ولا تحرق بنار الألم المبدعة، ولا تستعذب الألم لذاته، فالصفات الإلهية في التصور الإسلامي ليست صفات سلبية، والكمال الإلهي ليس في الصورة السلبية التي جالت في تصور أرسطو، وليست مقصورة على بعض جوانب الخلق والتدبير كما تصور الفرس في صفات " هرمز "

(١) من مقال الابداع الفني بين الخير والشر، د.محمد السيد الدسوقي،ص٥٦ بتصرف. مجلة الأدب الإسلامي، المجلد الحادي عشر، العدد الثاني والأربعون ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

إله النور والخير، واختصاصاته، وليست محدودة بدرجة من درجات الخلق كما تصور أفلاطون، وليست محدودة بحدود شعب كتصور بني إسرائيل، وليست مختلطة أو ملتبسة بإرادة كينونة أخرى كبعض تصورات الفرق المسيحية، وليست معدومة على الإطلاق كما تقول المذاهب المادية التي تنفي وجود الإله الحي المريد، ... إلى آخر هذا الركام الزائف من الرؤي العمياء، إذا فالتجربة الابداعية الإسلامية تنبثق من خصائص التصور الإسلامي، وتموج بكل ما تحمله التجارب الأدبية من عاطفة جياشة، وخيال متوقد وبصيرة نافذة، ورؤي متفتحة على الآفاق الكونية والطموحات الإنسانية ".[١]

وبذلك يتضح أن التجربة الفنية في الأدب الإسلامي تجربة منفتحة على آفاق الوجود وغير محددة بموضوعات معينة، وهي متعددة بتعدد الأجناس الأدبية.

والأدب الإسلامي ثري في مجالاته المختلفة بإبداعات أدبائه الراقية الواعية التي تسعى جاهدة لتحقيق الغرض من الفن بتطبيق التصور الإسلامي في ابداعاتها، وهي بذلك قدمت وما تزال النموذج المثال الذي يزود الأجيال بزاد الرجولة من أجل إعادة بنائها العقلي والنفسي بما حفل به من قيم ومباديء الإسلام السامية.

ولا يمكن أن نغفل في ذلك المجال على سبيل المثال لا الحصر أديب العربية الأكبر مصطفى صادق الرافعي حامل لواء تحت راية القرآن الذي كرس حياته وسخر فكره وقلمه من أجل خدمة اللغة العربية والإسلام بما قدمه من إبداعات خالدة جعلته بحق إمام الأدب وحجة العرب، ولا يستطيع أحد أن ينكر فضل الرافعي على اللغة والأدب، فقد اجتمع له روعة الأسلوب وحصافة الرأي وقوة الحجة والبرهان وتعددت مضامينه في نتاجاته المختلفة الشعرية والنثرية والنقدية، وصدق عليه قول الأستاذ أحمد حسن الزيات حين قال: " الرافعي أمة وحده، لها وجودها المستقل، وعالمها المتفرد، ومزاجها الخاص، وأكثر الذين كرهوه

(١) حول نظرية الأدب الإسلامي: حوار مع الدكتور صابر عبد الدايم انظر:
http://www.sbahat.com/vb/archive/index.php/t-1341.html

هم الذين جهلوه..إنما يحب الرافعي ويبكيه من عرف وحي الله في قرآنه، وفهم إعجاز الفن في بيانه، وأدرك سر العقيدة في إيمانه ".[١]

ولننظر في نتف من نماذج أدبه الثر حتى ندرك تفاهة الإفتراءات الموجهة للأدب الإسلامي وأدبائه والمؤسف أننا كأمة وأدباء ننخدع بتلك التهم ونلقي لها بالاً فنصدقها ونعتقد أن علة الإخفاق في تمسكنا بالعقيدة وبالقديم . وحول هذا المعنى يقول الأستاذ العقاد في مقال بعنوان " لا نخدع أنفسنا حتى يخدعونا ":

" لم نخدع أنفسنا حتى خدعنا الأوروبيون عنها فانخدعنا ثم صدقنا أننا أهل عاطفة ولسنا أهل عقل، وأننا أهل خيال ولسنا أهل حس، وأننا أهل روح ولسنا أهل مادة، وأننا لذلك مخفقون... وأحرى بنا فيما نعتقد أن ننجو بعقولنا من أحلام الأوروبيين التي أفرغوها علينا، ... وبعد فنحن في عصر اضطراب الثقافات وارتجاج الأخلاق والمزايا لاجرم يخطر لنا أن ننظر فيما يصلح وفيما لا يصلح، وفيما تعز به النفوس وفيما تهون، وأن نسأل أنفسنا ماذا نأخذ وماذا ندع مما يتمخض عنه عراك الأمم والدولات ".[٢]

يقول الرافعي في قصة " اليمامتان " التي استوحاها من التاريخ:

جاء في تاريخ الواقدي " أن "المقوقس" عظيم القبط في مصر، زوج ابنته "أرمانوسة" من "قسطنطين بن هرقل" وجهزها بأموالها حشماً لتسير إليه، حتى يبني عليها في مدينة "قيسارية" بفلسطين، فخرجت إلى "بلبيس" مدينة بمحافظة الشرقية وأقامت بها... وجاء "عمرو بن العاص" إلى "بلبيس" فحاصرها حصاراً شديداً، وقاتل من بها، وقتل منهم زهاء ألف فارس، وانهزم من بقي مع المقوقس، وأخذت أرمانوسة وجميع مالها، وأخذ كل ما للقبط في بلبيس. فأحب عمرو ملاطفة

(١) شخصية الأديب المسلم في حياة الرافعي ورسالته، د.محمد أبو بكر حميد، مجلة الأدب الإسلامي، المجلد الحادي عشر، العددان الثالث والأربعون والرابع والأربعون، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

(٢) لا نخدع أنفسنا حتى يخدعونا، عباس محمود العقاد، مطالعات في الكتب، ص٢٩٦ وما بعدها بتصرف.

المقوقس، فسير إليه ابنته مكرمة في جميع مالها، مع قيس بن أبي العاص السهمي، فسر بقدومها...

هذا ما أثبته الواقدي في روايته، ولم يكن معنياً إلا بأخبار المغازى والفتوح، فكان يقتصر عليها في الرواية، أما ما أغفله فهو ما نقصه نحن.(١)

وبدأ الرافعي في سرد قصته مركزاً على جانبين اثنين، أولهما: الجانب الفلسفي الذي يثبت من خلاله عظمة الدين الإسلامي ونبيه الكريم وصحابته من خلال عدة حوارات ثرية جرت بين شخوص القصة ومن أهمها ما جرى بين أرمانوسة ابنة المقوقس وبين مارية جاريتها أو بين الاثنتين والراهب الذي كان من بين رجالها في الأسر.

وثانيهما: الجانب الرومانسي، الذي ظهر من خلال إعجاب بل افتتان مارية بشخصية القائد عمرو بن العاص حينما أوفدتها مولاتها أرمانوسة برسالة إليه، حيث تحول ذلك الاعجاب والافتتان إلى حب طاغ من جانب الفتاة "مارية" وكانت ذات جمال وعلم وأدب وذكاء ملك عليها فؤادها إلى أن ماتت وبالطبع لم يعلم القائد عن ذلك شيئاً، ولكن الكاتب استطاع أن يصور مشاعر مارية بأسلوب رائع عفيف يمس الوجدان دون أن يخدش حياءها.

ومن مثال الجانب الأول – الفلسفي– قوله على لسان أرمانوسة تحكي لمارية رأي أبيها في دين الإسلام وأتباعه: " إنهم لا يغيرون على الأمم، ولا يحاربونها حرب الملك، وإنما تلك طبيعة الحركة للشريعة الجديدة، تتقدم في الدنيا حاملة السلاح والأخلاق، قوية في ظاهرها وباطنها، فمن وراء أسلحتهم أخلاقهم، وبذلك تكون أسلحتهم نفسها ذات أخلاق ! إن هذا الدين سيندفع بأخلاقه في العالم اندفاع العصارة الحية في الشجرة الجرداء، طبيعة تعمل في طبيعة، فليس يمضي غير بعيد حتى تخضر الدنيا وترمي ظلالها، وهو بذلك فوق السياسات التي تشبه في عملها الظاهر الملفق ما يعد كطلاء الشجرة الميتة الجرداء بلون أخضر... شتان بين عمل وعمل، وإن كان لون يشبه لونا...قالت مارية: وأبيك يا أرمانوسة،

(١) http://aqsagirl.eyelash.ps/raf3i/ymamtan.htm

إن هذا لعجيب! فقد مات سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم من الفلاسفة والحكماء، وما استطاعوا أن يؤدبوا بحكمتهم وفلسفتهم إلا الكتب التي كتبوها...! فلم يخرجوا للدنيا جماعة تامة الإنسانية، فضلاً عن أمة كما وصفت أنت من أمر المسلمين، فكيف استطاع نبيهم أن يخرج هذه الأمة وهم يقولون أنه كان أمياً، أفتسخر الحقيقة من كبار الفلاسفة والحكماء وأهل السياسة والتدبير، فتدعهم يعملون عبثاً أو كالعبث، ثم تستسلم للرجل الأمي الذي لم يكتب ولم يقرأ ولم يدرس ولم يتعلم؟ قالت أرمانوسة: إن العلماء بهيئة السماء وأجرامها وحساب أفلاكها، ليسوا هم الذين يشقون الفجر ويطلعون الشمس، وأنا أرى أنه لابد من أمة طبيعية بفطرتها يكون عملها في الحياة إيجاد الأفكار العلمية الصحيحة التي يسير بها العالم، وقد درست المسيح وعمله وزمنه، فكان طيلة عمره يحاول أن يوجد هذه الأمة، غير أنه أوجدها مصغرة في نفسه وحوارييه، وكان عمله كالبدء في تحقيق الشيء العسير، حسبه أن يثبت معنى الإمكان فيه. وظهور الحقيقة من هذا الرجل الأمي هو تنبيه الحقيقة إلى نفسها، وبرهانها القاطع أنها بذلك في مظهرها الإلهي. والعجيب يا مارية، أن هذا النبي قد خذله قومه وناكروه وأجمعوا على خلافه، فكان في ذلك كالمسيح، غير أن المسيح انتهى عند ذلك، أما هذا فقد ثبت ثبات الواقع حين يقع، لا يرتد ولا يتغير، وهاجر من بلده، فكان ذلك أول خطا الحقيقة التي أعلنت أنها ستمشي في الدنيا، وقد أخذت من يومئذ تمشي ".[1]

أما مثال الجانب الرومانسي في القصة، فهو ذلك الحوار الذي دار بين مارية بعد أبلغت سيدتها أرمانوسة بتسليمها الرسالة إلى عمرو بن العاص بشأن رجوعها إلى أهلها، وكيف سألها عمرو عن ظن سيدتها بالمسلمين، وأنه أخبرها بوصية الرسول ﷺ " استوصوا بالقبط خيراً فإن لهم فيكم صهراً وذمة " ثم قوله لها أعلميها أننا لسنا على غارة نغيرها، بل على نفوس نغيرها، فوقع ذلك الكلام موقع الإعجاب من نفس أرمانوسة فطلبت من مارية أن تصفه لها فقالت: " رأيته قصير القامة علامة قوة وصلابة، وافر الهامة علامة عقل وإرادة، أدعج العينين...

(١) المرجع السابق نفسه.

فضحكت أرمانوسة وقالت: علامة ماذا؟... أبلج يشرق وجهه كأن فيه ضوء لألاء الذهب على الضوء! أبداً اجتمعت فيه القوة حتى لتكاد عيناه تأمران بنظرهما أمرا... داهية كتب دهاؤه على جبهته العريضة يجعل فيها معنى يأخذ من يراه، وكلما حاولت أن أتفرس في وجهه رأيت وجهه لا يفسره إلا تكرار النظر إليه...وتضرجت وجنتاها، فكان ذلك حديثاً بينها وبين عيني أرمانوسة! وقالت هذه: كذلك كل لذة لا يفسرها للنفس إلا تكرارها...فغضت مارية من طرفها وقالت: هو والله ما وصفت، وإني ما ملأت عيني منه، وقد كدت أنكر أنه إنسان لما اعتراني من هيبته... قالت أرمانوسة: من هيبته أم من عينيه الدعجاوين...؟ ".[1]

وبعد فقد رأينا كيف كان أسلوب الرافعي يخاطب العقول والقلوب معاً يصدر فيه عن طبع وأصالة سعت إلى إحياء ما توارى في النفوس من مروءات ونخوات وأريحيات، وإلى شد الشباب إلى ماضي أمته ليرفد حاضره، من أجل مستقبل زاهر يعيد فيه أصالة العروبة ومجد الإسلام.

إذا فالأدب الإسلامي أدب شمولي رحب الآفاق تتعدد فيه محاور التجربة الفنية ولا تتقيد بحدود زمان أو مكان، والتزامها بالتصور الإسلامي يكسبها عمقاً وقوة وصلابة ويفتح لها أبواب الحرية لتحلق في سماء الفن الرفيع، فالفن والحرية صديقان قديمان كما يقول الأستاذ العقاد وذلك لأن " القدرة على التمييز والتفضيل هي الحرية بعينها، ولن يخلو إدراك الجمال من الحرية والاختيار،... والفن الجميل مدرسة النظام كما هو مدرسة الحرية. فهل في ذلك عجب ؟ قد يبدو فيه العجب لمن يحسب أن الحرية تناقض النظام، أو يعتقد أن الحرية تبيح صاحبها أن يخرج على كل نظام. ولكن الخروج على النظام هو الفوضى وليس هو بالحرية. ولا مشابهة بين الفوضى والحرية في صورة من الصور، بل هما شيئان متناقضان، وقد يكون الفارق بينهما أبعد من الفارق بين الحرية والرق في أثقل قيود الإستبعاد. فالحرية كما قدمنا هي أن تختار. والفوضى هي أن تفقد كل اختيار وأن تختلط عليك الأشياء فلا ترى فيها محلاً للتمييز والإيثار... وما من

(١) المرجع السابق .

شيء غير الفن الجميل يمنحنا هاتين النعمتين النفيستين: نعمة الحرية ونعمة النظام مجتمعتين ".[1]

(١) الفن والحرية صديقان قديما، عباس محمود العقاد، مجلة الهلال سبتمبر ١٩٥٠.

المبحث الثالث
المسؤوليات والمهام

بعد أن انتهيت فيما سبق لبيان التحديات بشقيها العام والخاص وخلصت منها إلى عرض بعض التهم والإفتراءات التي وجهت للأدب الإسلامي وأدبائه ففندتها وقمت بالرد عليها من خلال آراء كبار النقاد ونماذج لأعلام الأدباء، يأتي الآن دور المسؤوليات المنوطة بالأديب المسلم التي ستفصح عنها المحاور التالية:

الأديب المسلم والتواصل مع الآخر:

الأديب المبدع بحق هو من يستطيع أن يكون جسراً للتواصل يعبر فيه ويفصح عن هويته وثقافته وحضارته في عبوره للآخر وذلك من أهم الوسائل في خلق التلاقح الحضاري بين الأمم والشعوب من خلال منطق الأخذ والعطاء، والاقتباس والإبداع، والاستيعاب والانتاج لكل المظاهر الفكرية والمعرفية والثقافية، وبالطبع ذلك التبادل والتلاقح لا يكون بطمس هوية الأديب بانسياقه وراء التقليد والتبعية ولكن بالاستفادة من الآخر بما يتناسب الهوية والثقافة والدين بحيث لا ينسلخ من جذوره فيقطع كل آصرة تربطه بتراثه وتقاليده وقيمه ومبادئه.

إن علينا إذا ما أردنا حقاً استعادة مكانتنا الأدبية المتقدمة وتجاوز مثلية التبعية لآداب الشرق والغرب" أن نتحقق بالشروط الضرورية للإبداع وهي تحقق وتمكن القدرة الإبداعية لدى الأديب المسلم من جهة، ونفاذ التصور الإسلامي وهيمنته على ما يصدر عنه فكراً وعملاً من جهة أخرى. وبدون تلك الشروط لن تجدى أية محاولة للوصول إلى المطلوب، بل قد يخشى أن ينقلب سلاح الإبداع الأدبي بسبب من سطحيته وعجلته، وعدم استكمال الأدوات الأساسية، إلى سلاح مضاد، نشهره ضد أنفسنا، بإعطاء الخصم فرص الإدعاء بأن الأدب الإسلامي لا يعدو أن يكون تقاريراً وخطباً، وأن الإسلام بالتالي ما استطاع أن يوجد المدرسة الأدبية التي تتلبس طابعه، وتستمد من رؤيته.

لقد شهد تاريخنا الإسلامي عبر رحلته الطويلة، عدداً جماً من الأدباء الذين قدموا أبدع الأعمال، في معظم المجالات الأدبية، وحققوا حضورهم الزمني

والمكاني، وفرضوا معطياتهم على العالم كله، إنهم أبناء مدرسة الإسلام، منها انطلقوا وعلى ضوء قيمها ومعاييرها كتبوا وأبدعوا".[١]

فالعبور للآخر لا يتحقق إلا بتقدير الذات، والتعبير عن هويتها وثقافتها وحضارتها وقيمها ومثلها ومعتقداتها، فالآخر أي الغرب لا يريد ما صدره إلينا من نتاج أدبه وفكره، لأن ذلك النتاج سيكون في نظره مسخاً مشوهاً، لأنه يقلد ولا يعبر عن حقيقته وما هيته، عن ذاته وفكره لأنه يريد شيئاً لايعرفه وإن كان لا يوافقه.

فلماذا نقبل على أنفسنا أن نكون أرقاماً متشابهة في جداول رياضية لا تتميز عن بعضها البعض ؟ لماذا نرضى دائماً بأن نكون ظلاً للآخرين على الرغم من أن إسلامنا العظيم ورسولنا الكريم في مواقفه التاريخية " يؤكد على التنوع، والفردية، والإبداع الذاتي، الشخصانية، وأن يكون كل إنسان مؤمن نسيج وحده. مخلوقاً يختلف باطنياً عن الآخرين،. يحمل خصوصيته المتفردة،وهذا لا يعني إقامة جدران ضد التوحد الجماعي والتنسيق الشمولي للمجتمع الذي سعى إلى بنائه، وحينما نرجع التاريخ نجد أن أقوال رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم قد اختلفت في تعامله مع صحابته رضي الله عنهم مما يعكس حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على تفرد أصحابه وإغناء مكوناتهم الشخصية، وتعميق استغلالها.

فما قاله محمد صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه، محركاً فيه صفته الخاصة، وصدقه الذاتي، وإيمانه العجيب المطلق بكل ما يمس الرسالة، غير ما قاله لعمر بن الخطاب رضي الله عنه مفجراً فيه إمكاناته الذاتية، ورغبته في استعلاء المجتمع الذي ينتمي إليه، وقدرته على تحدي الغموض، وسعيه الدائب للوصول للهدف على الخط المستقيم، وغير ما قاله لعثمان رضي الله عنه مقدراً فيه تجرده الكامل، وحياءه العميق، وحلمه الذي لا تحده حدود، وكياسته التي يعرفها أصحابه وخصومه، وغير ما قاله لعلي رضي الله عنه عندما كان يناديه على تخوم المعارك الفاصلة، وفي لحظات الملاحم، ليسلمه الراية، ويدفعه إلى

(١) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، د. عماد الدين خليل، ص ٧٠-٧٤ بتصرف.

القتال، فارساً منافحاً عن دينه ومثله، وغير ما قاله لأبي ذر رضي الله عنه، معلناً أنه سيموت وحده، ويبعث وحده، لأنه نسيج وحده، وغير ما قاله لابن مسعود طالباً منه أن يرتل عليه القرآن وهو الذي أنزل عليه القرآن، معللاً هذا بأنه يحب أن يسمع كلمات الله من أصحابه... وغير ما قاله لكثيرين لا يحصيهم العد من الصحابة الكرام، مهيئاً كلاً منهم لدوره المتفرد الذي أتاح للمسلمين أن يقودوا العالم، ويعيدوا صياغة خرائطه، وأن يقفزوا بطاقات معجزة من جاهلية التمزق والفراغ، إلى حضارة الوحدة والامتلاء، ومن السكون والخمول إلى الحياة والحركة اللتين لا تحدهما حدود.(١) فالاخفاق في الوصول إلى الآخر – وصولنا للغرب – كما في رأي المستشرقين بسبب " أن لدينا كنوزاً من العلم والمعرفة ومن الأدب والنقد والفكر، ولكننا لا نعكف عليها بالدرس والتأمل والاذاعة في الناس، وأننا ننظر إلى أعمال الغرب وكأنها مقدسة ننسى بها ما بين أيدينا من أعمال جليلة ؛ وذلك لأننا لا نقدر ثقافتنا حق قدرها، ولا نرى على أي الكنوز تقف أرجلنا، ويمكن أن تصل إليه أيدينا ".(٢)

إن اخلاص العمل وتقدير التراث والتعبير عن الذات والهوية من أبرز المعالم في طريق العبور الثقافي إلى الآخر والتواصل معه. فالخصوصية هي شرط العالمية والأصالة مدخلها. وهذه الخصيصة هي التي مكنت الآباء والأجداد من اختراق حواجز البنى الحضارية للانسانية على مدار التاريخ. " وهى التي منحت كتاباً مثل طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي ابن القرن الخامس الهجري مثلاً، حيوية بالغة عندما يترجم إلى عدد من اللغات الأوروبية الحديثة، وهذه الخصيصة أيضاً هي التي جعلت كتاباً مثل رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، وحي بن يقظان لابن طفيل الغنوي، منهلاً ينهل منه أدباء أوربيون كبار، ويبدعون من خلال روحه وحتى إطاراته الفنية ".(٣)

(١) المرجع السابق، ص٨٨-٨٩ بتصرف.

(٢) مقالات في الأدب الإسلامي، د. عمر عبد الرحمن السارسي، ص١٢٩ بتصرف.

(٣) الأدب الإسلامي المعاصر، أ. جمال سلطان، ص ١٢١ بتصرف.

وإذا كنا نتحدث عن التراث وشروط العالمية ومسؤولية الأديب المسلم نحو ذلك والتلاقح بين الثقافات من خلال الترجمة وجهود وإسهامات الأدباء الإسلاميين المعاصرين يبرز لنا شخصية رئيسة محورية على مسرح الأدب الإسلامي المقارن من خلال حوارها وتفاعلها مع الآداب المختلفة نظراً لإجادته ثماني لغات شرقية وأوربية فضلاً عن لغته العربية الأم، وهي الفارسية، التركية، الأردية، الفرنسية، الإنجليزية، الألمانية، الإيطالية، الروسية. إنه الدكتور حسين مجيب المصري الذي يستحق أن يلقب بعميد الأدب الإسلامي المقارن اعترافاً بدوره في تعريف القارىء العربي بالأدب الإسلامي، ولاسيما الأدبين التركي والفارسي، فهو أول عربي يحمل الدكتوراة في الأدب التركي، وأول من ألف كتاباً بالعربية في تاريخ الأدب التركي، وأول من درس الأدب الإسلامي المقارن، وأول عربي له ديوان شعر بالتركية، وأول من ترجم شعراً من التركية. ترجم وألف ما يربوا على السبعين كتاباً في الأدب. استطاع طوال ما يقرب من ثلاثة أرباع القرن الكشف عن كنوز الأدب الإسلامي المخفية، وأثبت أن الوحدة الإسلامية بين الشعوب هي في المقام الأول وحدة ثقافية، فأثرى المكتبة العربية الإسلامية بمؤلفاته وترجماته النادرة، وعقد المقارنات بين آداب الشعوب الإسلامية، وجعلها تمتزج في نسيج واحد تحت عباءة الإسلام، ولسانه يقول:

" لقد عاهدت الله وعاهدت نفسي منذ سنين عدداً أن أداوم على توافري وعكوفي على الأدب الإسلامي المقارن، لا أنقطع عن ذلك إلى يوم ألقى ربي " .

ولكن الآلة الإعلامية العربية تنكبت له على الرغم من الانتاج الجديد والغزير والوفير الذي لم يسبقه إليه أحد، ظل هناك صمت طويل وصل إلى ما يشبه التعتيم على نتاجاته الثرية المتعددة. وعلى الرغم مما واجه الدكتور حسين مجيب المصري من صعوبات في حياته الإنسانية والعلمية والأدبية، وأنه عاش حياته دون أن يقدره أحد ممن كان يعتقد أنهم أحبته في بلده فإنه دائماً يقول: ما أدركني الندم على ما أبليت من شبيبتي وكهولتي وشيخوختي في دراستي للأدب الإسلامي المقارن وآداب وحضارات الشعوب الإسلامية، فقد طابت نفسي ووجدت بعض العزاء وأنا أتلقى من هيئات علمية وعلماء وأحباء في المشارق والمغارب ما

يطمئنوني به أنني أبليت بلاءً حسناً وأديت الأمانة. وأنا احتسب هذا عند ربي لأني تعلمت العلم وعلمته، وخرجت من يدعون لي ممن أعرف ولا أعرف، وبهذا رأيت الحبة التي استودعتها في الأرض وديعة منذ زمان أصبحت دوحة ملء عيني وقلبي.(١)

وهذه هي هوية ومسؤولية الأديب المسلم في عالمنا المتغير الذي يجب أن تكون هي المعبرة عن الصفات الجليلة التي خص بها الله عز وجل الأديب المسلم تفرقه في كل زمان ومكان عن الأديب الجاهلي، تصوغ شخصيتة على مثال خاص ليؤدي مهمه خاصة لا يضطلع بها كل فرد من الأفراد فتجعله يحس بالحياة احساساً عميقاً ويترجم عنها للأحياء. وهذه الصفات هي التي تضمنها قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿ **إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** ﴾.(٢)

الأديب المسلم بين الأصالة والمعاصرة:

تعد قضية الحداثة من القضايا التي احتدم حولها الصراع والنقاش والجدل واختلفت حولها الرؤى والطروحات وهي تمثل تحدياً حقيقياً أمام أدباء الأجيال على مستوى الموقف الفكري والتشكيل الجمالي، فالانطلاق من الجذور لا يعني التقليد، والإنطلاق من الواقع لا يعني الذوبان فيه، بل الانطلاق منه لتجاوزه ومحاولة التغلب عليه وتغييره إلى الأفضل والأحسن.

ولكي نصل إلى تصور موضوعي لتلك القضية كما يقول الدكتور طه وادي ينبغي التنبه إلى أن الأديب عامة والشاعر خاصة لا يستطيع أن يفلت واعياً أو غير واعٍ من تأثير عاملين أساسيين لهما سطوتهما الغالبة على إبداعه ومصادر إلهامه:

الأول: هو الواقع الذي يعيش في إطاره بتأثيراته الإنسانية والطبيعية .

---

(١) انظر موقعي الشبكة العنكبوتية إسلام أون لاين،ويكيبيديا الموسوعة الحرة. مجيب المصري– عميد الأدب الإسلامي المقارن، بتصرف.

(٢) الشعراء الآية ٢٢٧.

الثاني: هو التراث وتقاليد النوع الفني الذي يبدعه.

إن الأديب في ظل أية مرحلة وتحت راية أية مدرسة، ليس إلا حلقة متواضعة في سلسلة تاريخية فارعة الطول، ومهما كان شوقه إلى التجاوز والمغامرة الفنية، وطموحه إلى التجديد، وكسر التقاليد الجمالية السابقة عليه، فإنه لا يفلت من تأثيرات كثيرة ترسبت في مخيلته أثناء مرحلة الإعداد الفني الصبور، الذي ثقَّف نفسه فيها بالضرورة، قبل أن يتصدى للإنتاج والإسهام الأدبي.(١)

هذه هي الحدود التي تمنحنا قاعدة ننطلق منها لدراسة أي أدب وتحديد موقعه في حركة الفن الأدبي، نتوصل منها إلى معايير نسبر بها غوره، ونتحقق من طبيعة التجديد عنده، ومدى نجاحه في تحقيق التوازن بين طرفي المعادلة: الجذور والواقع، الماضي والحاضر.

وإذا كنا بصدد الحديث عن الأدب الإسلامي والأديب المسلم الذي يجب أن يمسك بطرفي المعادلة الماضي والحاضر، التراث والواقع أو الحاضر . فالأديب المبدع هو من يكرس جهوده ويحشد طاقاته الإبداعية الفنية لكي يعبر الماضي إلى الحاضر وهذا العبور ليس انفصالاً عن الجذور بل هو التسلح الذي يمنح الأديب القدرة على الاستمرار والتطور شريطة عدم تغيير القواعد والقوالب التي تمثل هويته وجنسه الفني " لأنه إذا تجرأ بالتغيير وتطاول على القاعدة، فاستبدل بها قاعدة جديدة، تحول الفن عن اسمه، وغدا فناً جديداً لا علاقة له بالأول، ولا يستحق من ثم أن يحمل اسمه نفسه، ومن حق الفنان تجاه القاعدة أن يطور فيها فحسب، أو أن يضيف إليها، أو أن يحي مواتها مما غفل عنه الفنانون الآخرون، أو أن يمارسها في سياق جديد وظروف مختلفة، نشعر معها وكأن القاعدة لم تعد

(١) جماليات القصيدة المعاصرة، د.طه وادي، ص٦١-٦٢، ط أولى، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان٢٠٠٠ القاهرة.

هي القاعدة القديمة نفسها ؛ لأن إلغاء القاعدة القديمة داخل الفن نفسه هو إلغاء لهذا الفن ".[١]

ومن هنا فالأصالة لا تعني التقليد ، والحداثة أوالمعاصرة لا تعني التمرد على كل ماهو قديم وأصيل، ولا تعني الغموض والشطط، ولا تعني الارتماء في أحضان التراث الإنساني دون التفريق بين الغث والسمين، الطالح والصالح، الخبيث والطيب .

فقد اجهد كثير من المحدثين أنفسهم بتطبيق نظريات الغرب ومناهجه وقوالبه اللغوية على اللغة والثقافة العربية، ولهذا ينادي الدكتور إبراهيم السامرائي باحترام المعايير التي سمعت عن العرب منذ القدم في قياس اللغة وفي الحكم عليها، وقد رفض إخضاعها لنظريات نقدية حديثة استعيرت من أسواق الأدب والنقد الغربية أو الشرقية، فقد كان الكسائي يسأل عن سبب رفع أو خفض في جملة لغوية عرضت عليه فقال: هكذا سمعت عن العرب. لذا نادى الدكتور السامرائي باحترام هذا الرد اليوم وغداً، بدلاً من الأشكال الهندسية التي تجهد البنيوية الحديثة نفسها بها، ويجهد مستوردوها في إدخالها على اللغة لدراسة أدبها ونصوصها وحملنا على تذوقها. ويتساءل: لماذا نقلد الغربيين في كل شيء؟ وهل كان علينا لزاماً أن نستعير أدواتهم في الفكر والنقد وتذوق الأدب ؟ وقد كانت للغات غير لغتنا وفي بيئات فكر ونقد غير ثقافتنا . ويستشهد بنظرية النحو التوليدي والتركيبي للعالم اللغوي الأمريكي اليهودي الأصل "نعوم تشومسكي" التي أخذ المحدثون تطبيقها على اللغة العربية فيتساءل: لماذا يتحتم علينا أن نعود للغتنا لنبحث ماذا فيها من هذا اللون المستحدث من النحو ؟. إن علماء اللغات في السويد مثلاً قد ردوا على هذا العالم اللغوي بعض آرائه، واستقر علماء اللغات على ما هو أكثر صواباً وأكثر استقراراً في الفكر اللغوي، ولكن المبهورين بالفكر الغربي وأشكاله المستحدثة لا يزالون يلهثون وراء ما يستهلك على موائد الغربيين

(١) الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، د. أحمد بسام ساعي، ص١٦٦، ط أولى، دار المنارة، جدة، السعودية ١٩٨٥م.

ويصبح من مخلفاتهم، أم أنها عقدة النقص التي أصبنا بها منذ مطلع عصر النهضة وما زلنا بها مصابين؟ ".[1]

وليس معنى ذلك أن المبدع الإسلامي سواء أكان أديباً أم ناقداً أم باحثاً بمعزل عن التيارات السائدة، بل عليه أن يتحصن ضد المعرفة بالمعرفة، فيصفي، ويحلل، ويفحص وينقد ما يراه أمامه في ساحات المعرفة الثقافية فيتخير منها ما يتوافق مع الفطرة الإنسانية والهوية الإسلامية ديناً وفكراً وثقافة ليس هذا فحسب بل عليه أن يكشف زيف الباطل الهادم لكل الثوابت والأعراف وبذلك يكون المبدع المسلم ايجابياً في تعامله مع الحياة يعمل عقله بما يتوافق مع دينه وهويته من أجل إعادة تشكيل هذا الواقع الذي أثخنته حراب الإرتكاس والتبعية والإنسلاخية.

وكثير من المبدعين الإسلاميين حاولوا محاولات جادة واعية وما يزالون لإعادة اكتشاف الإنسان المسلم من جديد بإلقاء الضوء على سماته المفقودة التي تعيد له الكرامة والعزة وتجعله قادراً على تحمل المسؤوليات ومواجهة التحديات.

والأمثلة كثيرة لا حصر لها في ساحة الأدب الإسلامي الهادف الحديث والمعاصر لأولئك الأدباء الذين حافظوا على الأصالة والهوية وواكبوا العصر ومشكلاته، وجمعوا في رؤاهم الإبداعية بين جلال الفكر وبراعة الأثواب الأدبية القشيبة المنوعة المتعددة الأشكال والألوان في نتاجهم الإبداعي الإسلامي.*

---

(١) مقالات في الأدب الإسلامي، د. عمر عبد الرحمن الساريسي، ص١٢٧-١٢٨ بتصرف، ط أولى عمان الأردن ١٩٩٦.

* وعلى سبيل المثال لا الحصر مع الاعتذار الشديد لمن لم يتسع المقام لذكره لأن المجال لا يتسع لذكر كل المبدعين الجادين اللامعين على الساحة الأدبية الإسلامية، الرائد أبو الحسن الندوي د. أنور الجندي، د. عبد القدوس أبو صالح، د. نجيب الكيلاني، د. عدنان النحوي، = =د. جابر قميعة، د. صابر عبد الدايم، د.حسين علي محمد، د. سعد أبو رضا، د.عبد المنعم يونس، د. خالد هنداوي، د. وليد قصاب، د. عبد الباسط بدر، د. حسن بن فهد الهويمل، د. حسن الوراكلي، د. علي صبح، د.سعد ظلام، د. مصطفى عليان، د.محمد رجب البيومي د. طه وادي، د. أحمد زلط، د. إبراهيم السامرائي، د. عبد الحميد بوزوينة، د. عبد الرحمن العشماوي، إلى جانب الأساتذة أحمد فضل شبلول،، محمد سيد بركة، محمد منلا غزيل

إن الأديب الأصيل الجاد " هو من يترفع عن حمأة الشهوة وبؤرة الفساد، ويرنو نحو تخليص الأمة من محنتها، وهو وحده القادر على دفع أباطيل الأدب الخليع، وإنقاذ الأجيال من براثنه، والذود عن الشرف الرفيع ورد فتنة التغريب والحداثة كما يقول د. عبد القدوس أبو صالح:

يا أيها الأدباء أضحى الفن بالإيمـان جحداً
يا أيها الشعراء صار الشعر للتزييف نـداً!
كم من ضلالات الفنون تزيد في التضليل بعدا
والجنس في الآداب يهدم ما أبتغاه الدين وأدا
صوغوا على اسم الله من أجيالنا للحق جندا
وعلى مصابيح النبوة يمموا الهدف الأسدَّا (١)

واستشهد بتلك اللوحة الفنية الراقية للأديب الكبير الدكتور جابر قميحة، التي تحفل بكثير من القيم التي يجب أن يعيها الإنسان المسلم المعاصر في خضم حياته الحافلة بالصراعات والمحن فيجابهها بصبر وثبات ، ومهما كانت التحديات فعليه ألا ينحني، لأن الإنحناء هو معبر السقوط إلى الهاوية الذي يعصف بالماضي والحاضر والمستقبل، فيرسم له طريق الخلاص بتجنب غاشية الانحناء، عن طريق رسالة من وراء الغيب يرسلها الآباء والأجداد من الماضي السحيق إلى الأبناء الذين أهدروا تركة الآباء والتراث ونقضوا الوصية فكان مصيرهم الخسران والبوار في قصيدة مؤثرة بعنوان " لماذا انحنيت " يقول فيها:

ألم أوصك الأمس قبل الممات

،محمد الحسناوي ،محمد حسن بريغش ،محمود مفلح، الشيخ علي الطنطاوي، عمر بهاء الدين الأميري، الشاعر الكبير محمد التهامي والأديبة الواعدةتجهاد الرجبي. ولا يمكن أن ننسى الأستاذ العلامة محمود شاكر الجهود النقدية الرائدة للدكتور شوقي ضيف والدكتور إحسان عباس والدكتورمجيب المصريوالدكتورمصطفى هدارة والدكتور عماد الدين خليل والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، و نتاجات العبقريين الفذين الرافعي والعقاد.

(١) الأدب العفيف مجلة الأدب الإسلامي العدد ٤٢ .

فأين وصاتي التي ما وعيت؟
وفيها كتبت: " تزول الجبال
ولا تنحني أبداً " فانحنيت
وفيها " ستعصف هوج الرياح
فكن قمة صلبة " فانحنيت
وفيها " سيمتد ليل الأسى
فلا تبتئس بالأسى " فانحنيت
وفيها " يكون جفاف وجوع
فمت بالطوى شامخاً " فانحنيت
وفيها " انتصر بالثبات العتي
وبالصبر في عزة " فانحنيت
وقلت تجنب مخازي الطريق
ولكن لخزي " الطريق " انتهيت
وعانقت فيه الأفاعي الكبار
ومن سمها – يا غبي – ارتويت
فأين وصاة أبيك الذي
إلى دفء مهجته قد أويت؟
وكم سهر الليل يحمي حماك
ويبكي دماء إذا ما بكيت
ويحمل عنك هموم الحياة
ويرعى الذي بعده ما رعيت
عصيت وصاتي التي صغتها
بدمي، وللمخزيات مشيت
وكنت أظنك نعم الوريث
فكيف تبيع الذي ما اشتريت؟
فبعت جوادي الأصيل الكريم

وأماً، وأختاً، وأرضاً، وبيت
وشعري بعت، ونخلي بعت
وسيفي، ورمحي، وسرج الكميت
وبعت سريري الذي فوقه
ولدت، وكم نمت حتى استويت
للص بغيٍّ، عُتلٍّ، زنيمٍ
على قدميه – خسئت – ارتميت
لتلثم نعليه في ذلة
وتلعق طينهما..ما استحيت
فكيف تبيع التراث العزيز
بكسرة خبز، ونقطة زيت ؟!
وتاج من الشوك يدمي الجبين
ووعد كذوب، " وكيت، وكيت "؟!
وعرش حقير، له لمعة
من البهرجات.. إليه ارتقيت ؟
ولم تدر أنك حين اعتليت
هبطت بما أنت فيه اعتليت
وفي موكب الذل صرت الأمير
ذليلاً، كسيح المسار، مشيت
فلا تملك الأمر إما تشاء
ولا النهي تملك إما نويت
وتصدع بالأمر إما أمرت
وينفذ أمر العدا إن نهيت
فلما سكرت بخمر الخداع
ومالت بك الخمر لما انتشيت
غدوت لغيرك أضحوكة

فليس سوى الخسر ما قد جنيت
وقلنا " اكتفيت بما قد جمعت
من العار "، لكنما ما اكتفيت
فعن قوس أعدائنا قد رميت
فوا حسرتاه على من رميت!!
بسهمك خر عزيز أبيٌّ
بجمرك قلباً طهوراً.. كويت
أتحمي حياة العدو العقور
وأيضاً تراثي لهم قد حميت؟!
أأبكي عليك؟ أأبكي إليك؟
أأبكي علينا لما قد جنيت؟
ففي غدك المستباح الجريح
ستصرخ " يا ليتني ما انحنيت "
ويرتد سهمك في مقلتيك
ولن ينقذ البيت آلاف " ليت "
فليس لما قد كسرت انجبار
بما قد جررت، وما قد غويت
وتدرك – بعد فوات الأوان
بأنك لما انحنيت.. انتهيت
وما دمت قد بعت حتى الحطام
ولم تبق أماً، وأرضاً وبيت
فإني أخشى غداً أن تبيع
عظامي، وقبراً به قد ثويت[١]

(١) http://www.alwihdah.com/view.asp?cat=7&id=3

وكما لاحظنا من القصيدة، فإنها جمعت بين جودة المضمون الذي يسعى إلى غرس القيم والمثل النبيلة المفتقدة في النفوس وبهذا يستطيع الانسان مجابهة الأعداء وإعادة المجد الزاهر الذي يتمسك بكل ما هو أصيل فلا يفرط فيه ولا ينحني لأن الانحناء طريق الانتهاء، وهذا هو أحد مضامين التصور الإسلامي الشامل للكون بما فيه فهو مسرح التأملات، وإشراق الرؤى . ولذلك فتجربة الشاعر من الناحية المضمونية أصيلة لأنها نبعت من التصور الإسلامي ومعاصرة في الوقت ذاته لأنها تتحدث عن واقع الإنسان المعاصر الذي فرط وأهدر الأمانة. وهي من ناحية الصورة حفلت بالوضوح الذي هو أهم سمات الفكر الإسلامي ، الذي يجب أن يكون أهم سمات الأدب الإسلامي أيضاً ،على العكس من أصحاب الحداثة الذين اعتمدوا الغموض أحد سفراء دولة الحداثة، والوضوح هنا لا يعني المباشرة والتقريرية، بل يعني استخدم أشكال تعبيرية جديدة كالتعبير بالصورة مثلا ، الذي نراه جلياً في القصيدة وهو أحد مظاهر التجديد والمعاصرة المهمة في البناء الشعري المعاصر ولذلك فالأديب الإسلامي لا يرفض التجديد ، ولكنه يطوعه حسب منطلقاته الفكرية والتعبيرية بحيث يعبر عن هويته هو لا هوية الآخرين ، وهذا هو أهم سمات العبور الثقافي للآخر والوصول للعالمية.

* * *

الأديب المسلم والحفاظ على الهوية (لغة وتراثاً) :

يجب التفريق هنا بين العولمة والعالمية ، فالعالمية تؤمن بمبدأ الإعتراف بحق الشعوب في التعايش في ضوء التنوع والإختلاف والتعدد والخصوصية الثقافية ....أما العولمة فهى على النقيض من ذلك حيث تدافع عن أطروحة الوحدة والقطب الواحد والفكر الواحد والقرية الصغيرة. انظر في ذلك مقال – الترجمة بين المثاقفة والعولمة –د/ مصطفى عمراني – موقع الشبكة العنكبوتية
http://www.diwanalarab.com

تشكل قضية الحفاظ على اللغة العربية وتراثها ركيزة الحفاظ على الهوية في عصر العولمة، وقد تصدى للدفاع عن هذه القضية كثير من المخلصين من أبنائها من المسلمين ومن غيرهم، وأدبهم في ذلك المجال أدبٌ يتفق أو يكاد مع التصور الإسلامي وليس إسلامياً خالصاً وننطلق في ذلك الحكم من منطلق واقعة تاريخية فقد روى الإمام مسلم في صحيحه – كتاب الشعر – عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟ قلت نعم، قال: هيه، فأنشدته بيتاً فقال هيه، فأنشدته بيتاً، فقال هيه، حتى أنشدته مائة بيت، وفي رواية قال " إن كاد ليسلم " وفي رواية " فلقد كاد يسلم في شعره " وفي رواية " آمن لسانه وكفر قلبه ". وكل الروايات تؤكد على المقاربة من إسلام الشاعر بإبداعه الشعري ، فهو أدب كان يمكن أن يكون إسلامياً لو أن صاحبه كان مسلماً ، يؤيد ذلك أغلب ما نظمه شعراً، فقد عالج فيه معاني دينية فطرية، حكماً وقيماً علوية جاء الإسلام مبشراً بها. انظر على سبيل التمثيل مطولته الدالية التي مطلعها:

لك الحمد والنعماء والملك ربنا فلا شيء أعلى منك مجداً وأمجدا

فالعبرة إذا ليست بما قبل فحسب ، بل بما قيل ومن قال .[1]

وإذا كان غير المسلمين من الأدباء قد نافحوا عن اللغة العربية وكانت لهم جهود مشهودة في هذا المجال ، ولا ننسى على سبيل المثال أحد أعلام الشعراء والأدباء في العصر الحديث، الشاعر المهجري جبران خليل جبران في إحدى مقالاته حول تأثير التمدن الأوروبي والروح الغربية على اللغة العربية ومستقبلها قائلاً : " حياة الإنسان موكب هائل يسير دائماً إلى الأمام، فالأمم التي تسير في مقدمة هذا الموكب هي المبتكرة، والمبتكر مؤثر؛ والأمم التي تمشي في مؤخرته هي المقلدة، والمقلد يتأثر؛ فلما كان الشرقيون سابقين والغربيون لاحقين كان لمدنينتا التأثير العظيم في لغتهم، وها قد أصبحوا هم السابقين وأمسينا نحن اللاحقين فصارت مدنيتهم بحكم الطبع ذات تأثير عظيم في لغتنا وأفكارنا وأخلاقنا.

(١) الملتقى، د. جابر قميحة، ص١٤٠– ١٤٤ بتصرف.

إن روح الغرب صديق وعدو لنا. صديق إذا تمكنا منه وعدو إذا تمكن منا. صديق إذا فتحنا له قلوبنا وعدو إذا وهبنا له قلوبنا. صديق إذا أخذنا منه ما يوافقنا وعدو إذا وضعنا نفوسنا في الحالة التي توافقه.(١)

فإذا كان جبران يدافع عن اللغة العربية وهو أحد أبناء الثقافة الغربية فأولى بالمسلمين الدفاع عنها لارتباطها الوثيق بدينهم، وقد كان لأدباء المسلمين مواقف مشرفة في الذود عن حياضها ضد الدعوات الهدامة التي نادت بإهمالها وتغليب العامية عليها، ثم زاد التجرأ عليها والاستهانة بها وطالب قوم بتغيير الحرف العربي بإحلال الحرف اللاتيني مكانه، كل ذلك بزعم أن الفصحى لغة صعبة غير طيعة فضلاً عن أنها عاجزة عن مجاراة العصر ومواكبة تقنياته الحضارية. ومن أبرز الداعين إلى ما سبق وأول المفتتحين لتلك المزاعم وصاحب أول دعوة في ذلك المجال مجلة المقتطف عام ١٢٩٩هـ التي دعت إلى كتابة العلوم باللهجات العامية التي يتكلمها الناس.(٢)

ثم جاء وليم ولكوكس عام ١٣٤٥هـ حين دعى في خطابه المشهور إلى نشر العامية والتأليف بها قائلاً: " إن من جملة العوامل في فقد قوة الاختراع عند المصريين استبقاءهم اللغة العربية الفصحى، لذلك لابد من إغفالها واستبدالها باللغة العامية اقتداء بالأمم الأخرى وخاصة الأمم الإنجليزية التي استفادت استفادة كبيرة باغفال اللغة اللاتينية التي كانت لغة الكتابة عندها واستبدالها باللغة الإنجليزية الحاضرة ".(٣) ثم ما لبثت تلك الدعوة أن انتشرت وتوسعت على أيدي التابعين المقلدين من أبناء العرب واللغة ومن أشهرهم سلامة موسى، سعيد عقل، أنيس فريحة، عبد العزيز فهمي. يقول الاستاذ العقاد عن دعاوي الهدم: " هو هدم

(١) مستقبل اللغة العربية، جبران خليل جبران، ص ٥٤٤- ٥٥٢ بتصرف، من المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران، ط دار صادر، بيوت ١٩٥٩.

(٢) نون النسوة التي يحاولون وأدها، محمد شلال الحناحنة، مجلة المجتمع، العدد ١٣٥٨، ٢٩ ربيع الأول ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

(٣) الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي، ص١٢٨.

عن سوء نية وخبث طوية بغرض تقويض معالم اللغة وراء كلمات التقدم والتجرد. إن هدم الفن الجميل لا يصدر إلا عن عجز أو إصرار على الهدم، ولا خير في دعوة يتولاها العجز العقيم والضغينة النكراء ".[١]

وما زالت تلك الدعوات تترى يوماً بعد يوم وجيلاً بعد جيل وستظل لأن الهدف واحد وهو تقويض لغة القرآن الكريم وفصل الأمة عن دينها وهويتها ولكن الله غالب على أمره، فقد تكفل عز وجل بحفظ القرآن الكريم ومن ثم اللغة العربية فقال عز من قائل: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾.[٢] يعبر عن ذلك المعنى قول الشاعر:

لغة بفضل مجالها وجلالها ... شهدت شواهد محكم الفرقان
لغة إذا أدركت سحر بيانها ... أدركت معن السحر في الأجفان
قل للألى جهلوا مكانتها وقد ... كادوا لها في السر والإعلان
عاديتم ما تجهلون ولم تعب ... قدر الورود كراهة الجعلانِ
والله يأبى أن تهان فبشروا ... من رام ذلتها لكل هوان[٣]

وقد قيض الله لهذه اللغة من يتصدى لدحض تلك المزاعم والدعوات الكاذبة الهدامة كوكبة من أقلام الشرفاء المخلصين لهذه الأمة. فعلى سبيل التمثيل كان الرافعي كما وصفه مصطفى كامل صاحب الحكمة المصوغة في أجمل قالب من البيان، قد وهب قلمه وحياته للدفاع عن هذه القضية بكل أبعادها وبشتى جوانبها الظاهرة والباطنة وله في ذلك صولات وجولات شعرية ونثرية، فلم يأل جهداً في كشف ما تنطوي عليه تلك الدعوات والمزاعم وفضح دوافع دعاتها.

ومن صولاته الشعرية قصيدة في حب اللغة العربية والدفاع عنها تحمل معان عدة يبكي فيها الرافعي على ما آلت إليه اللغة العربية وعزا ذلك إلى كيد

---

(١) بين الفصحى والعامية، د. بتول حاج أحمد، ص٦٤، مجلة الأدب الإسلامي، المجلد العاشر، العدد السابع والثلاثون ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

(٢) سورة الحجر الآية رقم ٩.

(٣) بين الفصحى والعامية، د. بتول حاج أحمد، ص٦٤.

أبنائها لها واهمالهم إياها في أبشع صورة من صور العقوق ونكران الجميل ثم أخذ يتحدث عن بقاءها واستمرارها على مر التاريخ، ثم أخذ في صيحة قوية يحمل على الغرب الذي حاول طمس اللغة العربية وحملنا على لغته التي اخترق بها صفوف الأمة، وغيرها من المعاني السامية الهادفة التي تخدم غرض الدفاع عن لغة القرآن لغتنا العربية الجميلة قائلاً في قصيدته اللغة العربية والشرق(١):

أُمٌّ يكيد لها من نسلها العقب ... ولا نقيصة إلا ما جنى النسب
كانت لهم سببا في كل مكرمة ... وهم لنكبتها من دهرها سبب
لا عيب في العرب العرباء إن نطقوا ... بين الأعاجم إلا أنَّهم العرب
سلوا الكواكب كم جيل تداولها ... ولم تزل نيرات هذه الشهبُ
وسائلوا الناس كم في الأرض من لغة ... قديمة جددت من زهوها الحقب
ونحن في عجب يلهو الزمان بنا ... لم نعتبر، ولبئس الشيمة العجب
أنترك الغرب يلهينا بزخرفه ... ومشرق الشمس يبكينا، وننتحب
وعندنا نهر عذبٌ لشاربه ... فكيف نتركه في البحر ينسرب
وأيما لغة تنسى امرأً لغة ... فإنها لعنة من فيه تنسكبُ

ومن عجب حقاً أن تأتي تلك المزاعم من أبنائها المنتمين إليها الناطقين بها من أدعياء التنوير والحداثة وأبواق الغرب التي وظَّفها لترويج فكره المنحرف، ولذلك كانت الإساءة بالغة والضربة موجعة قاصمة، فيها كثير من التفنن في خلق الافتراءات والسفسطة البغيضة التي لا تألُ جهداً في إلباس الباطل ثوب الحق وفي ذلك الصدد يطالعنا كاتب وناقد أكاديمي عراقي هو الدكتور جلال الخياط الذي أتى بما لم يأتي به وليم ولكوكس ومن على شاكلته إذ يقول:

" بدأ قسم من لغات العالم يتحرر من التفرقة العنصرية مطالع النصف الثاني من القرن العشرين بتأثير دراسات علم اللغة الاجتماعي وعلم اللغة النفسي، فهل لنا

(١) موقف الرافعي من دعاة العامية واللغات الأجنبية، د. عبد المنعم يونس، ص٧٣، مجلة الأدب الإسلامي، المجلد الحادي عشر، العددان الثالث والأربعون والرابع والأربعون ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

أن نحاول أن نهتم بهذا المنحى؟! وهل يحق لنا طبقاً لذلك أن نجري تغييراً في لغتنا؟! كأن نلغي مثلاً نون النسوة التي تومي بالعنصرية اللغوية وتعيق التكافؤ النحوي في المجتمع والثقافة ".[١]

وبالطبع لا يخفى كم المغالطات والافتراءات – في مقالة الخياط – التي تدعو للسخرية من فكر صاحبها المنحرف عن الحقيقة، الخارج عن حدود الأصالة، الهادم للهوية " فالأصالة تعني أن يحرص الإنسان على لغته، ويضعها في موضعها اللائق بها بين لغات العالم، فمن هانت عليه لغته التي تشكل تراثه وأمجاده سيكون بالتبعية هيناً على من يتملقهم ويعمل على إرضائهم. وما ذلت لغة شعب الإذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار، ومن هنا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضاً على الأمة المستعمرة، ويركبهم بها، ويشعرهم عظمته فيها، ويستلحقهم من ناحيتة، عليهم أحكاماً ثلاثة في عمل واحد: أما الأول فحبس لغتهم في لغته سجناً مؤبداً، وأما الثاني فالحكم على ماضيهم بالقتل محواً ونسياناً، وأما الثالث فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها، فأمرهم من بعدها لأمره تبع ".[٢]

ولم يكن الرافعي وحده في ميدان الدفاع عن اللغة العربية، بل كان هناك كتائب من أعلام الأدباء والمفكرين و المصلحين الأوفياء الشرفاء كل في مجاله يسخر فيه عقله وقلمه وطاقاته الإبداعية من أجل الذب والذود عنها ولا يمكن أن ننسى في ذلك المجال قصيدة شاعر النيل حافظ إبراهيم، اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها حيث صاغها بصورة حكائية تعتمد غبى الحوار والمناجاة والمنطق والحجة الدامغة التي تدافع بها اللغة العربية عن نفسها أمام أعدائها وأبنائها وهي قصيدة طويلة أبدع فيها حافظ إبراهيم بأسلوبه العذب السلس الذي بتميز بالسهولة والامتناع، وصدق الانفعال، والمعايشة وحرارة العاطفة وبراعة الحجة ودقة التصوير والتمثيل مع تلاحم الأجزاء ونموها في البناء الفني إلى الغاية التي سعى

(١) نون النسوة التي يحاولون وأدها، أ. محمد شلال الحناحنة.

(٢) موقف الرافعي من دعاة العامية واللغات الأجنبية، د. عبد المنعم يونس، ص٧١-٧٢ بتصرف.

إليها وهي التأثير في المتلقى عن طريق اقناعه بعظمة هذه اللغة وقدرتها الفائقة على التطور والتعايش على مر العصور ، فضلاً عن شرفها فهي لغة القرآن الكريم التي استوعب معانيه وعبرت عنه أبلغ تعبير وأبدع تصوير .وبذلك يصل بالقاريء إلى الهدف الأسمى والغاية العظمى من القصيدة وهو الإحساس بالتقصير الشديد نحوها وهو ما يدفع بأبنائها للعمل وتوجيه الطاقات لخدمتها والإنضواء تحت لوائها. وبذلك كتب لهذه القصيدة البقاء والتداول على مر الأجيال وسيظل نظراً لما اسلفته من أسباب سابقةبالإضافة إلى الإخلاص الفني الذي يدفع الإنسان دائماً نحو التجويد والإتقان.

يقول حافظ إبراهيم(١):

رَجَعْتُ لنفْسِي فاتَّهَمْتُ حَصاتِي ... ونادَيْتُ قَوْمِي فاحْتَسَبْتُ حَياتِي
رَمَوْنِي بعُقْمٍ في الشَّبابِ وليْتَني ... عَقِمْتُ فلَم أَجْزَعْ لقَوْلِ عُداتِي
وَلَدْتُ ولمَّا لمَ أَجِدْ لعَرائِسي ... رِجالاً وأَكفاءً وَأَدْتُ بَناتي
وسِعْتُ كِتابَ اللهِ لَفْظاً وغايةً ... وما ضِقْتُ عن آي به وعِظاتِ
فكيفَ أَضيقُ اليومَ عن وَصْفِ آلَةٍ ... وتَنْسِيقِ أَسْماءٍ لمُخْتَرَعاتِ
أنا البَحْرُ في أَحْشائِه الدُّرُّ كامِنٌ ... فهل سَأَلوا الغَوَّاصَ عن صَدَفاتِي
فلا تَكِلُوني للزّمانِ فإنّني ... أَخافُ عليكمْ أنْ تَحينَ وَفَاتِي
أَيَهْجُرُني قَوْمِي– عفا اللهُ عَنْهُمُ– ... إلى لغةٍ لَمْ تَتّصِلْ بُرُوراةِ
سَرَتْ لُوْثَةُ الافْرَنْج فيها كَمَا سَرَى ... لُعابُ الأفاعِي في مَسِيلِ فُراتِ
فجاءَتْ كَثَوْبٍ ضَمَّ سَبْعين رُقْعَةً ... مُشَكَّلَةَ الأَلْوانِ مُخْتَلِفاتِ

وعلى الرغم من أننا في زمن موت اللغات في ظل الثورة المعلوماتية حيث الشبكة العنكبوتية للمعلومات بمثابة قاتلة اللغات نظراً لكونها تفرض لغات بعينها على الجميع، وفي مقدمتها اللغة الإنجليزية إلا أن اللغة العربية تحمل مواصفات الاستمرار والبقاء والخلود إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ولكن اللغة كالكائن الحي تتأثر سلباً وإيجاباً بالظواهر والمتغيرات التي تنتج داخل المجتمع أو التي

(١) اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها، حافظ إبراهيم، ديوان حافظ إبراهيم، ط مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٧ القاهرة.

تتوافد عليه من الخارج. ولأن اللغة العربية هى دستور الأمة وهي أيضا الوعاء الثقافي والحضاري لها فيجب على سدنة اللغة ومحبوها وعشاقها حراستها والعمل على تطويرها أمام فيضان المعرفة في عصر العولمة. وذلك عن طريق مناقشة قضاياها وإيجاد الحلول لها، " وقد كان لمجمع اللغة العربية في الآونة الأخيرة إضافة مضيئة تتوج ما انجزه وذلك في مؤتمر المجمع في دورته الثانية والسبعين والذي كان موضوعه الرئيس المعجم التاريخي للغة العربية ،حيث يعد نقطة تحول بالنسبة للمؤتمرات السابقة لأن المعجم التاريخي للغة العربية يعد علامة مهمة في تاريخنا المعاصر لأن ذلك المعجم سيصبح كنزاً معرفياً عصرياً ومعيناً لأهل اللغة والمشتغلين بها، من أجل أن يعود للغة العربية مكانتها بين الأمم وفي المحافل العلمية والثقافية لكي تصبح اللغة العربية بوتقة تنصهر فيها منجزات الحضارة ".[١] إن نشر اللغة العربية رسالة عظيمة ومسؤولية جسيمة يتحملها الحاكم والمحكوم، النخبة و العامة، وتأتي مسؤولية الأديب أجل خطراً وأعظم تأثيراً لأنه لسان حالها ومرآة عصرها. لذا يجب تضافر الجهود لمواجهة أخطار الغزو الذي يطوق الأمة، " ولنعمل على تنمية الثقة في أبناء اللغة العربية ليكونوا أكثر قدرة وعطاء شعوراً واعتزازاً بلغتهم وعقيدتهم وتاريخهم وشخصيتهم وثقافتهم وأمتهم، فاللغة أداة للوحدة وتعبير عن الحضارة والتاريخ الإسلامي المشرف ".[٢]

واللغة العربية في القوم، هي نبراسهم في ممارسة حياتهم ومعرفتها الجيدة ضرورة. لقد أثبتت كل الدراسات والأبحاث اللغوية والتاريخية الرصينة، أن لغات العالم قاطبة، تأثرت بالعربية، وأخذت منها. ولأهمية اللغة العربية وقيمتها الحضارية تتعرض للمكائد والمؤامرات نتيجة ضعفنا الحضاري ولكن ذلك ليس

(١) تحديات اللغة العربية، د. محمد أبو الخير، أخبار اليوم بتصرف. انظر موقع الشبكة العنكبوتية:

http://www.akhbarelyom.org.eg/akhersaa/issuse/3732/0206.htm1

(٢) انتشار اللغة العربية، أ. عبد الرحمن بن حمد الحقيل، مجلة تأدب الإسلامي، ص٣٥ بتصرف، المجلد الخامس العدد العشرون١٤١٩هـ.

مبرراً لإعطاء الآخرين الحق في أن ينسجوا لنا ثوبنا اللغوي.[١] وحول ذلك المعنى يقول علال الفارسي:

إلى متى لغة القرآن تضطهد ... ويستباح حماها الأهل والولد
أما دروا أنها في الدهر عدتهم ... ما لهم دونها في الكون ملتحد
ولن تقوم لهم في الناس قائمة ... أو يستقيم لهم في العيش ما نشدوا
إن لم تتم لهم بالضاد معرفة ... أو يكتمل لهم في الضاد معتقد
يزورون من التاريخ ما عملوا ... ويدعون من الأمجاد ما فقدوا
لو انصفوا لرأوا تاريخنا صحفاً ... من المآثر لم يسبق لها أحد

فالأدب الإسلامي أدب مسؤول، والمسؤولية الإسلامية التزام نابع من قلب المؤمن وقناعته، التزام تمتد أواصره إلى كتاب الله الذي جاء بلسان عربي مبين. وهذه المسؤولية النابعة من صميم الإسلام، تقي أجيالنا المعاصرة المحاصرة، من السقوط في براثن تيه الفلسفات الضالة التي عطلت وظيفة الأدب الأساسية عن السمو بالأرواح والأذواق.[٢]

ففي الأدب كما يقول الأستاذ العقاد: " كل ما في الحياة من حاضر ومغيب، ومن فرائض وآمال، ومن شعور بالضرورة في الطبيعة، إلى تطلع لحرية المثل العليا. إن الأمم التي تصلح للحياة وللحرية لا يجوز في العقل أن يكون لها غير أدب واحد وهو الأدب الذي ينمي في النفس الشعور بالحياة وبالحرية.[٣]

وتنمية الشعور بالحياة وبالحرية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتراث فإحياؤه في النفوس يؤجج حرارة الانتماء ويفجر شرارة الارتقاء ويولد حب البقاء " فالتراث العربي عامر بسير العظماء والأبطال وكل واحد من هؤلاء العظماء والأبطال له حياة، وله أشواق وله هموم... التراث العربي عامر بالحركات الاجتماعية التي

(١) انين الفصحى بين علال الفاسي وحافظ إبراهيم، حسني عبد الحافظ، ص٦٥ بتصرف، مجلة المستقبل العدد ١٥٩، رجب ١٤٢٥هـ سبتمبر ٢٠٠٤م.
(٢) مدخل إلى الأدب الإسلامي، د. نجيب الكيلاني، ص ٢٨-٣٢ بتصرف.
(٣) مطالعات في الكتب، عباس محمود العقاد، مقال الأدب كما يفهمه الجيل، ص٩ بتصرف، ط القاهرة، دت.

تحتاج منا إلى فهم جديد وتفسير جديد، فإذا استخرجنا هذه الحركات الاجتماعية وعرضناها وفسرناها على الوجه الأمثل، فسنرى يومئذ أنها حركات حية تشبه كل الشبه ما نراه بأعيننا أو ما نقرؤه في الأنباء البرقية والصحف السيارة، وسنرى يومئذ أن عالم التاريخ الماضي وعالم الحياة الحاضرة يلتقيان أقرب التقاء، ويتعاونان في أفهامنا حقيقة الماضي والحاضر على السواء، فرب مسألة عصرية لا نفهمها حق فهمها إلا إذا قرناها بمسألة مثلها في العهود الغابرة، ورب مسألة غابرة لا نفهمها حق فهمها إلا إذا ضاهينا بين أسباب اليوم وأسباب الأمس، ورجعنا إلى البواعث المشتركة بين ما كان وبين ما هو كائن، فنحس ونحن نقرأ أننا لا ننتقل إلى عالم التاريخ الدابر بل ننقل التاريخ الدابر إلى عالمنا الذي نعيش فيه ونضطرب بالرجاء والكفاح في نواحيه ".[١]

والحفاظ على التراث وتمثله و إماطة اللثام عنه وتعريف الأجيال به يعني الحفاظ على الهوية والشخصية العربية الإسلامية بما تحمله من عقيدة وقيم ومثل ومباديء، وتلك مسؤولية الأديب المسلم، فهويته الأدبية إسلامية لا شرقية ولا غربية، تضيء حروفها لروعة معناها الذي يجعله شعلة العزة في الأمة، وصرخة الحق، وحداء الجنة، وإحكام مبناها الذي يحمل علامات بارزة وأمارات فارقة تصوغ شخصيته على مثال آسر ساحر يخلب العقول والقلوب، وقد أغنى الأدباء الإسلاميون نتاجهم بتمثل التراث الإسلامي والتناص معه لغة وفكراً، تاريخاً وأبطالاً، أحداثاً وعبراً.

وأشير إلى بعض الأمثلة التي تمثل قطرة من قطرات الندى على أوراف الحضارة الإسلامية. وفي هذا الصدد لا يمكن أن ننسى في مجال الابداع الأدبي الحديث المعاصر أعمال العقاد العبقرية، مؤلفات شوقي ضيف النقدية ، كتابات إحسان عباس التراثية ، تحقيقات محمود شاكر الموسوعية، ونتاجات عماد الدين خليل التاريخية والأدبية. ومقارنات الدكتور مجيب المصري بين الآداب الإسلامية

(١) فنون وشجون، عباس محمود العقاد، مقال التراث العربي ومسائل احيائه في هذا العصر، ص٤٩ بتصرف، ط دار الجيل بيروت.

ومسرحيات باكثير الإبداعية، وروايات نجيب الكيلاني الواقعية. مما لا يتسع المجال لعرضه ومناقشته، لأن الخوض في ذلك يحتاج إلى بحث بل أبحاث بمفردها. ولكني أشير إلى بعض النماذج المنوعة التي تبرز مكانة التراث والتناص معه عند الأدباء الإسلاميين المعاصرين.

ففي شعرنا الإسلامي المعاصر نجد نقلة في وعي الشاعر بالتراث، وقدرته على توظيفه فنياً والاستعانة به جمالياً، لإثراء الجملة الشعرية والصورة الفنية للقصيدة. فإذا كان شعراء الإحياء والمحافظة قد حرصوا على المعارضة الشعرية للقدامى من أجل تأكيد الذات وابراز الموهبة الشعرية ومحاولة التفوق والإستعلاء على التجارب الشعرية المعارضة كما رأينا عند أمير الشعراء أحمد شوقي حينما عارض كبار الشعراء في التراث العربي الزاهر كأبي تمام والبحتري والمتنبي وابن زيدون والبوصري على الوزن نفسه والقافية بعينها فإن الشاعر الإسلامي المعاصر أبرز جانب المعارضة أيضاً في شعره للتراث من أجل استلهام مواقفه الروحية والانسانية مما يخلق نوعاً من التوازن التاريخي بين الجذور الضاربة في أعماق الماضي والفروع الناهضة على سطح الحاضر.

وبالتأمل في التجربة الشعرية الإسلامية نلحظ أنها أخلصت لروح التراث وإن تمردت أحياناً على أشكاله وقوالبه. فأصبح التراث ليس " شكلاً وقوالب كما كان الحال عند شعراء مدرسة الإحياء، وليس نتيجة ترسبات لا إرادية كما كان الحال عند شعراء المدرسة الإبتداعية، بل أصبح كياناً بنائياً مقصوداً له أبعاده الفكرية والانسانية، وبذلك يتحدد الفرق الجوهري بين أن نعيش في التراث وأن تعيش بالتراث ".[1]

والمعارضة في التجربة الشعرية الإسلامية المعاصرة للتراث جاءت على نمطين الأول: معارضة شعراء الجاهلية في المعلقات، والمعارضة هنا كانت في الوزن والقافية واستلهام بعض المعاني عند القدامى كالاستعلاء والشجاعة والفخر بالبطولة وغيرها مع اخضاعها للتصور الإسلامي ومن ذلك قول الشاعر صالح بن

(١) الحداثة في الشعر العربي المعاصر، د. محمد العبد حمود، ص٢١٦-٢١٧ بتصرف، ط أولى، الشركة العالمية للكتاب، بيروت ١٩٩٦م.

علي العمري في رثاء أحد الشهداء في قصيدة طويلة مؤثرة على غرار معلقة عنترة بن شداد:

هل غادر الشهداء في عرس الدم أم هل رأيت الصدق بعد توهم؟!

يقول الشاعر صالح العمري:

هل سرك الإقدام في زمن الونى أم هل شممت المسك من جسد الكمي؟!
أرأيت موكبهم وفي قسماتهم نور الخلود ونظرة المتبسم؟!
أقرأت في صفحاتهم قصص الفدا تحي الكرامة في السواد الأعظم!!
أسمعت آيات اليقين ورجعها يطوي الأسى عند حاضر متجهم؟!!
الحافظون أخوة الإسلام في عصر الجفا والمعهد المتصرم
الثابتون على مواثيق التقى في اليسر أو في الموقف المتأزم
الواثقون بنصر من فلق الدجى بالفجر من بعد السواد المظلم
والله ما خطرت لنا ذكراهم إلا ندمت ولات ساعة مندم
عبد العزيز.. أبا الوليد تحية يا صوت توحيد ونخوة مسلم
بانهضة – يا صرخة علوية يا نور آمال.. ونفحة يسلم
يا أمة تجني الأسى، وكتابها يهدي القلوب إلى الصراط الأقوام
الله أعلاها وصان كيانها فعثا الخلاف بصفها المتثلم
لكن إذا أذن الإله بنصرها نهضت نهوض المارد المتجهم
قد يبطيء النصر اليسير مكيدة في طلعة النصر الأعز الأدوم
لا يرتجى ميلاد جيل باسمٍ إلا على غصص المخاض المؤلم
انظر لطلعته فإني ناظر كالفجر يبزغ.. كالقضاء المبرم[1]

أما النمط الثاني من المعارضة فهو معارضة شعراء العصور الإسلامية ولاسيما عصر صدر الإسلام كما في معارضة الدكتور نجيب الكيلاني لكعب بن زهير في قصيدته المشهورة بانت سعاد، حيث يقول في قصيدته سعاد والسجين:

بانت سعاد وسيف الجور مسلول

١ http://www.saaid.net/what/q63.htm

ودمعها بشعاع الحب مجدول
ترنو إلى قسوة القضبان باكية
قلبي يعانقها والجسم معزول
لقد تعالى هوانا عن مصادرة
فالروح بالفرح القدسي موصول
في روضة الحب قد هامت مجنحة
ولحنها البكر تكبير وتهليل
كوني سعاد – كما شئنا – مطهرةً
ولا يغرنك تلوين وتشكيل
سر المحبة بالإيمان مرتبط
قد باح بالسر قرآن وانجيل
وفي غد تفرح الدنيا لفرحتنا
على جبينك للإيمان اكليل
وتلقى الروح والأبدان في وطن
تراجعت عن معانيه الأباطيل
العدل يغمره، والحب يجمعه
وفوق شطية تكبير وتهليل
فلا خلود لجلاد بأمتنا
وليس في سنة الرحمن تبديل[1]

وكما رأينا في النموذجين السابقين وضوح نغمة الحزن المر العميق والألم الناجم عن إحساس يقظ بصعوبة الحياة وقسوة الظروف، وتطاول الدرب الذي يجب أن نسير فيه بتأن من أجل التطوير والتغيير والتنوير، لكنه ليس حزن المتشائم أو المتألم لواقعه من بعيد، بل هو حزن المناضل وألم المجاهد المجهد،

(١) ديوان مدينة الكبائر – شعر، د. نجيب الكيلاني، ص٣٥-٣٧، ط أولى، مؤسسة الرسالة ١٩٨٨.

حيث وظف النموذج التراثي للتعبير عن هموم العصر ومهام المرحلة في إطار متميز يعبر عن رؤية صادقة جديرة بالاحترام يتواصل فيها الحاضر بالماضي والجديد بالقديم وبذلك تتكامل مسيرة التجديد والتطوير.

ومن صور استلهام التراث في التجربة الشعرية الإسلامية المعاصرة أيضاً، ما نراه في استدعاء التاريخ من خلال القصص القرآني، كما في قصيدة امرأة العزيز تعترف لنجيب الكيلاني التي يعرض فيها لقصة يوسق الصديق وامرأة العزيز، وفيها يسقط الشاعر على الواقع بأبعاده الآسنة حيث التسلط والجبروت الذي يردى إلى الفجور والهاوية ويصل من خلاله إلى نتيجة حتمية وهي انتصار الحق ولو بعد حين.

والقصيدة من ناحية الشكل في قالب قصصي محكم البناء، يضفي على التجربة الشعرية نوعاً من الانفتاح والتفاعل الإيجابي مع أشكال الفن المختلفة مما يتيح سبيل التطوير والمعاصرة. أما من ناحية المضمون، فإنها تستعين بالتراث وتتكيء عليه. ويعد استحياء التراث والتواصل معه مضموناً مكوناً ضرورياًفي التجربة الفنية وذلك لأن: " الحقيقة المجردة وحدها لا تكفي للتعبير عن تجربة الأديب، ولا تفي بتصوير انفعالاته ورؤاه،؛ لذلك لابد من الاستعانة بكل التراث القديم، وإحداث ما يسمى بالتحويل الرمزي، حتى يستطيع التعبير عن تجربته الخاصة، يثري به فكره الفني ورؤيته الابداعية. وهنا لن تصبح أداته اللغوية أشارية تقريرية ذات بعد دلالي واحد، وإنما سوف تصبح لغة مشخصة، تجسد المعنى، وتصور المدرك بأبعادها الخصبة ".[١]

يقول الدكتور نجيب الكيلاني في قصيدته امرأة العزيز تقترف[٢]:

أسيرة.. مولهة

---

(١) جماليات القصيدة المعاصرة، د. طه وادي، ص٧٨ بتصرف.

(٢) انظر موقع الشبكة العنكبوتية لها أون لاين:
http://www.lahaonline.com//index.php?option

في عشق يوسف الصديق
تحترق
تذوب كالنضار
في حمأة السعار والشبق
ترف كالجنون
في قصرها المكين
كالسجين
الخز واللآليء الكريمة
مرآتها اللعينة
النور والبخار والألوان
معتمة كأسْوَدِ الدخان
الناس يرسفون في السلاسل
يدمدمون بالفؤوس والمناجل
قد جفت الحلوق
والجدب سيد الحقول
الأرض قد تيتمت
ظامئة تحرَّقت
النيل مثل عابر سبيل
يؤوده الظمأ
والجوع يعصر الأمعاء
البردة الخضرا تقرحت
الليل ينشب الأظفار في نسيجها

وكما رأينا فإن الشاعر يصل إلى مغزاه الهادف من القصيدة وهو حتمية انتصار الحق على الباطل وأن الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها لابد أن تنتصر على الباطل في النفس الإنسانية في لحظة من اللحظات وقد تثوب إلى رشدها فتقلع وتتوب وبذلك تعلن شهادة الميلاد الجديد والانفصال عن دنس الانحراف والشيطان إلى نور الحق والإيمان.

وهو في هذه القصيدة، القصصية يؤكد على أن الثراء الحيوي المادي لا يتولد إلا من ثراء نفسي روحي، وأن النفس الإنسانية الصالحة هي المصدر الأساس لإفراز عوامل البقاء والتقدم والثراء، والنفس الفاجرة هي أيضاً المصدر الرئيس لعوامل القحط والجدب الاخلاقي والمجتمعي والسبيل إلى الانحدار والضياع في غياهب الانهيار.

ويوزع الكيلاني منطلقاته وغاياته الفكرية في سياق القصة معتمداً على مقومات القصة من شخصيات رئيسة وثانوية وحوار وصراع ومفاجأة وعقدة وحل إلى جانب تقنيات أخرى كالاسترجاع والمفارقة التصويرية " التي تهدف إلى ادانة واقع معين ببيان الفارق الشاسع بينه وبين المنشود ووصولا إلى الانتصار لقيم معينة، فامرأة العزيز ترف في قصرها المكين لا كحرة سعيدة منطلقة، ولكن كالسجين، والخز واللآليء الكريمة مظاهر الرفاهة كان من المفروض أن تمثل مرآة مشرقة مضيئة، لا مرآة لعينه. وفي هذا القصر كان من المفروض أن يكون النور والبخور والألوان مشرقة جذابة تأخذ الأبصار، ولكنها جاءت معتمة كأسود الدخان. وهو بذلك يريد الوصول إلى أن الشقاء رهين بالجفاف الروحي، وأن الثراء المادي لا يخلق السلام والطمأنينة مع جفاف الروح وخراب الخلق. وتمضي المفارقة الفادحة تطبع بصماتها في كل الموجودات. فالنيل مثلاً الذي يروي العطاشى أضحى يعاني من الجفاف والظمأ، ولكنه على الرغم من ذلك يحتفظ بإبائه وشموخه. ويحسب للكيلاني في هذه القصيدة القصصية أنه استطاع أن يحقق التوفيق بين الأبعاد القرآنية لشخصية امرأة العزيز، وبين الانماء الروائي لهذه الشخصية فاحتفظ لها بخطوطها الرئيسة التي رسمها القرآن الكريم ".[1]

وهكذا رأينا أن الأديب الإسلامي المعاصر في تجاربه الفنية الابداعية المنوعة قد حافظ على الهوية لغة وتراثاً، مع التزامه بالرؤية الاسلامية. ونجح في اخراج الشعر والعبور به من مضيق " الأنا " – عند الحداثيين – إلى رحابة "

(١) الإنسانية الفنية في قصيدة امرأة العزيز تعترف، د. جابر قميعة بتصرف، انظر موقع الشبكة العنكبوتية: http://www.lahaonline.com

النحن ". وبهذه الرؤية الفارقة تمتزج وتتواصل الأجيال والعصور ماضياً وحاضراً ومستقبلاً.

الأديب المسلم والتجربة الشعورية:

لا ريب أن الأديب الإسلامي المعاصر استطاع إلى حد بعيد وبمستويات مختلفة أن يجوب دروب الكون ويعبر عما فيه برؤية تتفق مع التصور الإسلامي الشمولي الذي يستوعب الكون والحياة والانسان. ويدحض مزاعم ذيول التغريب والحداثة التي عرضتها عند الحديث عن الافتراءات الموجهة للأدب والأديب الإسلامي والتي تمثل تحديات له استطاع أن يجتازها ويتغلب عليها ويثبت زيفها. ولمزيد من الافصاح عن تفاعل الأدب والأديب الإسلامي مع الإنسان وهمومه ومشكلاته وتصويره لشتى أحداث الكون والحياة وعدم انغلاقه على تجارب محددة بعينها بل انفتاحه على رحابة الوجود. أعرض نماذج شتى ومحاور عدة للتجربة الفنية الإسلامية المعاصرة يتضح من خلالها أن الأديب المسلم ينطلق فيها من محورين مهمين:

الأول نفسي يتمثل في الصفاء والنقاء والصدق والعفة والآمانة الذي يجب أن يتحلى به الأديب المسلم فينعكس على أدبه وإلا ما عدّ أدبه أدباً إسلامياً.

والثاني فكري ينطلق فيه من تصور الإسلام لكل شيء في الكون من قيم وحدود ومعاملات وغيبيات وإنسان وطبيعة وغيرها .

وبذلك يستطيع تحمل المسؤولية المنوطة به في الحياة، وهو ما يخلق فيه أيضاً نوعاً من الصمود والصبر والتحدي للصعاب والتحديات التي تواجهه في رحلة الحياة وفي طريقه الصاعد نحو الحق والعدل والخير والجمال.

ففي الميدان الشعري الإسلامي المعاصر تعددت القوالب الفنية والرؤى المضمونية المشرقة الواضحة، " فالوضوح من لوازم الفكرة البينة والرؤية الواضحة الجلية، وهو يكسب الكلام اشراقاً مميزاً، وشفافية يجول فيها المعنى دون التواء، إذ يبوح بسره، ويشى بفحواه، لينجو من قشوة التعليل، ومتاهات التأويل والتفسير. والتعبير إذا حظي بهذا السمت، امتزج فيه اللفظ بالمعنى امتزاجاً لا سبيل إلى إدراك حدود أحدهما بدون الآخر، ولا سبيل كذلك للمفاضلة بينهما في الإبانة،

لأنهما يتسارعان في مدار الإفهام، ويتعاوران في ميدان التواصل في حركة تبادلية متكافئة ".[١]

إنه أدب العقيدة الإسلامية وعطاء الأديب المسلم الملتزم بالتصوير الإسلامي، هو أدب لغته العربية هي الأساس وإن كان ذلك لا يمنع أن يكتب بلغات أخرى. هو أدب العلم والحق، لا أدب الوهم والخرافة، أدب الواقع والإنسانية ولذلك فهو عالمي لأنه يستمد عالميته من إنسانيته وامتدادها وقوة أمته وعالمية رسالته، ولذلك فهو متطور ونامي وهو أدب هادف وسلاح من أسلحة الإسلام، وأدب الحق لا أدب الباطل، أدب مسؤول لأن صاحبه محاسب على كلمته بين يدي الله ولذلك يرتبط النص بصاحبه، ولا يمكن فصله عنه، إنه يرتبط ارتباط أمانة وعهد ومسؤولية وحساب.[٢]

(١) مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي، د. مصطفى عليان، ص١٢٣، ط أولى، دار المنارة، جدة، السعودية ١٩٨٥.

(٢) مع مفهوم الأدب الإسلامي، د. عدنان النحوي بتصرف، انظر موقع الشبكة العنكبوتية: http://www.islamselect.com

حرية الإنسان في إطار عبوديته لله ﷻ :

وهو أول الموضوعات التي أعرض لها في تعبير التجربة الفنية الإسلامية من الجانب الفكري الإيماني ، في ضوء الفهم الإسلامي فإنه لا تناقض بين العبودية والحرية ؛ لأن العبودية للخالق الواحد الأحد، الذي خلق الإنسان لاعمار الكون واستخلافه فيه، والإنسان حر لأنه اختار أن يكون عبداً لله عن قناعة ويقين، ولذلك فثنائية العبودية والحرية هما كرامة الإنسان وخلقه وسعادته وقد وضح ذلك المعنى وأكد عليه الشاعر عمر بهاء الدين الأميري في أكثر من موضع في ديوانه " قلب ورب " حيث يقول:

أنت حر مذ كنت لله عبدا فالتزم واستعن به وتكرس[١]

ويقول:

وعلاك الأرقى – أيا حر – أن الله سواك مذ سوّاك عبده
يا عبد خلاق العوالم أنت أنت الحـر فافقه
أنت الخليفة إنـما لمدى وقد كونت وفقه[٢]

ويقول:

فذروة المجد للمرء الأبي على مدى الحياة، ورأس الرشد والرشد
لواذه، وهو عبد الله من أزل وصيرت الأكوان للحر معبداً
لواذه، ومـلاذ الخلق كلهم في طُرّ أحوالهم بالواحد الأحد[٣]

ويقول:

عبودية لله أعلت مراتبي وصيرت الأكوان للحر معبدا
وخلقت حراً عابداً متبتلا وقدّستُ أواهاً منيباً مسودا[٤]

---

(١) ديوان قلب ورب، للشاعر عمر بهاء الدين الأميري، ص ١٩١، ط أولى ١٩٩٠م.
(٢) المرجع السابق، ص٨٨.
(٣) المرجع السابق، ص٢٠٦.
(٤) المرجع السابق، ص١٨٤.

وفي معنى العبودية لله عز وجل ويقينه من ذلك ومعرفة الإنسان لحقيقة ومهمته في الحياة يطالعنا الشاعر ربيع عبد الحليم سعيد بالاعلان عن تلك الحقيقة في صورة المعارضة – التي أغرم بها الأدب المعاصر وأشرت إليها سابقاً ولكنها في هذه المرة معارضة لشاعر محدث – لأحد أبرز شعراء الفلسفة الحائرة في أدبنا العربي الحديث وهو الشاعر المهجري إيليا أبو ماضي في مطولته المشهورة الطلاسم من قصيدة إيليا بالرد عليه ونقضه وجعل عنوان القصيدة المعارضة فك الطلاسم حيث يقول إيليا:

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت
ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت
وسأبقى ماشيا إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟
لست أدري!

ويرد عليه الدكتور ربيع سعيد بقوله:

جئت دنياي وأدري عن يقين كيف جئت
جئت دنياي لأمر من هدى الآي جلوت
ولقد أبصرت قدامي دليلاً فاهتديت
ليت شعري كيف ضل القوم عنه!
ليت شعري!

ويقول إيليا:

أجديد أم قديم أنا في هذا الوجود
هل أنا حر طليق أم أسير في قيود
هل أنا قائد نفسي في حياتي أم مقود
أتمنى أنني ادري ولكن
لست أدري!

ويرد عليه الدكتور سعيد بقوله:

ليس سراً ذا خفاء أمر ذياك الوجود

كل ما في الكون إبداع إلى الله يقود
كائنات البر والبحر على الخلق شهود
ليت شعري كيف ضل القوم رشدا!
ليت شعري![1]

وهكذا فإن الأديب المسلم يدرك أواصر القربى بين عبوديته لله عز وجل التي يفتخر ويعتز بها وتكريمه له باستخلافه على أرضه وتلك رسالة إسلامية، وبين صناعة الإنسان لحياته على عين الله وتلك رسالة إنسانية. وليس معنى ذلك أن يقبع الأدب الإسلامي في محارب العبادة والزهد والخشوع، ولكن ترسيخ الإيمان في النفوس وربط الإنسان بخالقه جزء مهم ومن صميم مهام الأدب الإسلامي، " فالأدب الإسلامي مسؤولية عظيمة تتمثل في إعادة الثقة بالإيمان إلى قلوب الشباب المتعلم الذي تأثر بالغزو الثقافي، ولا نبالغ إذا قلنا أن الإيمان بالله أجل موضوعات هذا الأدب ومحاوره، فالإنسان المؤمن المتوكل على الله عز وجل لا يخشى أي قوة أرضية، ولا يقبل أي تبعة جاهلية، فهو عزيز مكرم، يعبد الله وحده، ويتبع أحكامه وأوامره، ويجتنب نواهيه. أما الإنسان الكافر بالله أو الشاك في إيمانه فلا يلقى خيراً ولا يصادق سعادة، مهما بذل من جهد في الاصلاح الخارجي والنفس محطمة فارغة من الإعتقاد الصحيح فإنه لا يقوى على التخلص من براثن الفساد وأسباب الشر والضياع ".[2]

(١) قصيدة فك الطلاسم للدكتور ربيع عبد الحليم سعيد، انظر موقع الشبكة العنكبوتية: http://www.adab1.com/ilea5.htm

(٢) نظرية الأدب في ضوء الإسلام، د. عيد الحميد بوزوينة، ص بتصرف، ط أولى، دار البشير، الأردن ١٩٩٠م.

حب الرسول ﷺ والدفاع عنه :

ومما يتصل بالبعد السابق – الإيماني – ما جا في حب الرسول ﷺ والاسترشاد لهديه، معبراً عن عظم الأمانة والمسؤولية التي تحملها صلى الله عليه وسلم في تبليغ رسالة السماء، وما لاقاه من محن تخر لها الجبال في رحلته الإنسانية حتى بلغ الرسالة وأدى الأمانة. وفي ذكرى الإسراء والمعراج نتذكر كيف خفف الله عز وجل وطأ أحزانهبهذه المعجزة فزاده تكريماً وتشريفاً على كرمه وشرفه ورفعه مكانة لم يحزها أحد من خلقه. وحول ذلك المعنى يقول الشاعر محمد التهامي:

حين عم الظلم فيها والبلاء ... فتحت الأرض أبواب السماء
بدرك الإنسان في وقفته ... وتذيب اليأس في كف الرجاء
تعز الحق في قبضته ... راسخ الحجة مسموع النداء
أيها الهادي.. مهما أظلمت ... فمآل الليل حتما لانتهاء
أنت يا ذا النور، قد حملته ... تنبت الفجر بليل الأشقياء
ليس سهلا، إن تحداك الدجى ... وأطال المكث فيهم والبقاء
أن تقيل الناس من ظلمائهم ... رافعاً عن عينهم ذاك الغطاء
إنه الكفران قد أعماهم ... وطوى الوجدان عن لمس الضياء
زمن الناس صخور أغلقت ... ما جرى في جوفها الضمآن ماء
همها الدنيا، وفي أطماعها ... هذه الدنيا حصاد الأقوياء
كل ما فيها صراع ظالم ... يشرب الحقد ويقتات الرماد
كلما يصرخ فيها هاتف ... ساقه النور صوت الأنبياء
رده منهم عناد قاتل ... يتلاظى فيه رفض الجهلاء
والورى يرسف في الآمه ... في بحار من دماء الأبرياء
ودعاء الله في قرآنه ... ساقه المولى إلى الدنيا شفاء
وبه المختار يسعى حاملا ... ما تناهى من عناد السفهاء
حين لجو في ضلال مطبقِ ... وتمادوا بين جهل وغباء
أشرق الحق لدى معجزة ... نشهد الأرض عليها والسماء

قد دعا الرحمن فيها عبده فتسامى بين أحضان الرجاء[1]

وفي فداء الرسول ﷺ والدفاع عنه ضدَّ الهجمات الصليبية الشرسة الأخيرة في حقه عليه السلام يبرز الشاعر الدكتور خالد حسن هنداوي مآثره ﷺ على البشرية جمعاء، ويعرض ما أثبته له المنصفون من صفات إنسانية وقيادية حكيمة، ويحذر الأعداء من التطاول والتجرؤ على أشرف الخلق وأكرم الرسل، مؤكدا أن المسلمين الذين جاوز عددهم المليار على استعداد ليكونوا فداء لرسول الإنسانية وخاتم الرسل صلى الله عليه وسلم بأنفسهم وأموالهم وأنفس ما يملكون، ولنسمعه يقول:

أمحق يا سيدي وإمامي يا خير من أفدى عليك سلامي
جدد بنفسي حبك الزاكي الذي إن قل زاد الهم في أيامي
وأقبل صفي الله فرط مودتي وانظر إلى قلبي الكسر الدامي
يا لائمي في عشقه اقصر فذا قرآننا لم يضع للوام
حب الإله وحب ذات رسوله متلازمان تلازم الأرقام
وهوى الرسول فريضة فطرية وجمالها للمؤمن المتسامي
وأحب من نفس ومن ولد ومن مال وناس حب خير إمام
ولنعم من رب البرايا اختاره لرسالة الإيمان والإسلام
ختمت رسالات السما بحمد فغدا البناء متوجاً بتمام
أسفير رب العالمين لخلقه ماذا عن الخلق العظيم السامي
إن قمت داعية فنعم على المدى نور الهداية منك بدر تمام
أو كنت ترعى الناس كنت أخاهم وصديق آمال إلى آلام
أو كنت تفتح للسياسة بابها كنت الرشيد تسوس بالأحكام
وتقيم للشورى المقام مقدراً رأي الصحابة من أولى الأفهام
وإذا قضيت قضيت بالعدل الذي لا يعرف التمييز في الأحكام
يا من بنيت حياتنا بقواعد صلحت لتطبيق مدى الأيام

(١) الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر محمد التهامي، قصيدة معجزة الإسراء والمعرج، ص٦٢٠-٦٢٢.

لم يشهد التاريخ مثلك قائداً ... بطلاً يفوق أماجد الأعلام
هل ترى ننسى هرقل ومدحه ... للمصطفى من سالف الأعوام
وشهادة الآلاف ممن أنصفوا ... نعت الرسول بأعظم الإفطام
ورأوا رسول الحق أول مصلح ... أعلى الحضارة في سماء وئام
من يؤته المولى فؤاداً زاكياً ... والعقل حراً يصنع للإسلام
والشاعر القروي أسلم مادحاً ... واليوركي دعا نصارى الشام
" إني مسيحي أحب محمداً ... وأراه في سفر الزمان إمامي "
لو كان أحمد بيننا حياً لما ... عشنا الحياة معيشة الأغنام
إني لأثار للنبي إذا عدا ... عاد ولم أدي إلى إعدامي
يا أيها الأعداء عنا اقصروا ... لن يرتقى ذنب لمجد الهام
أفإن عوى كلب بشتم أو أذى ... أو خاض في بحر يضر بذام
أعلى من المليار نحن فداؤه ... مالاً ونفساً دونما إحجام[1]

معرفة الطريق إلى الله:

وكما رأينا فإن الشاعر الإسلامي حريص كل الحرص على أن يكون وفياً لربه ولرسوله ولدينه وأن يكون شعره دوماً أداة للدفاع والذود عن دين الإسلام، وفي هذا المعنى يعلن الشاعر الإسلامي فخره بالإسلام واعتزازه به فيراه بمثابة الأب الذي يدين له بالولاء فيقول:

لبيك إسلامي من الأعماق ... أنا لم أخن عهدي ولا ميثاقي
لبيك في شرق وفي غرب هنا ... وهناك في الأرجاء والآفاق
لبيك إني لم أزل بك هاتفاً ... ما جن ليلي أو صحا إشراقي
إني أنا ابنك ما جفوتك يا أبي ... ما زال حبك ساكناً أعماقي
لكنني مهما تناسوا عهدهم ... باق على عهد الأبوة باق

(١) قصيدة فداء الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، للشاعر الدكتور خالد حسن هنداوي، القاها الشاعر في إحدى الندوات الثقافية.

فلكم عدوت بناظري في إثرهم ادعوهم لتجمع وتـلاق
وبعثت خلفهم النداء ولوحت كفي لهم بندائك الخـفاق
يا أيها الإسلام إني هاهنا متمسك بالعـهد والميثاق
كل افتـخاري أنني لك منتم مهما رمتك عصابـة الفساق
ولئن تتابعت الخطوب فإنما في النار يصفو التبر بالإحراق[١]

ويعبر الشاعر الدكتور عماد الدين خليل عن ضياع الإنسان إذا افتقد هدى الإسلام، يصبح كالتائه الذي ضل الطريق يمضي في غياهب المجهول إلى الأفول لا يرى هدياً ولا يبصر قبساً يصير كالأعمى الذي فقد المعين، فيهوى إلى قاع الضلال السحيق. ويمسي ويصبح في فراغ الخراب والثبور فيقول:

إذا غاب هديك أين نـسير وكيف يكون السرى والمصير؟
على كل مفترق.. ظلـمة وفي كل درب أذى وشرور
ومنا إذا ألم ســامنا وفينا إذا ما ازدهانا الغرور
تحيط بآفاقـنا غمرات ويمحو الضباب بها ما يدور
وتكذب في البدء والمنتهى ويبقى العذاب وليس مجير
إذا غاب هديك حل الشـقاء وضاع من الحسرات السرور
وتاه الظريق فما من صـراط ولكنها سبل تســتدير
تعود بنا إثر كل رحـيل فما ثم في الظـلمات عبور
ونبقى نصارع مأساتنـا ويبقى الهوى خلب وقصير[٢]

أما الشاعر الدكتور صالح آدم بيلو فيؤكد على أن المسلم الحق هو من يعرف الطريق إلى الله فثيبث وسط الأنواء كالطود الشامخ لا يهتز ولا يلين مهما فسدت الأجواء وعاند الرفقاء فيقول:

---

(١) مجلة الأدب الإسلامي، المجلد الحادي عشر، العدد الواحد والأربعون ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، مقال قراءة في ديوان خفقات قلب للشاعر عبد الحفيظ صخر، بقلم الأستاذ محسن عبد المعطي، ص٦٨.

(٢) مجلة الأدب الإسلامي، المجلد العاشر، العدد التاسع والثلاثون ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، قصيدة إذا غاب هديك للشاعر الدكتور عماد الدين خليل، ص٢٤.

كلما ازددت عناداً يا صديقي
في غرور وتعرضت طريقي
كلما ازددت أنا نار وثوق
وتثبثت بما ضيَّ العريق
وكتاب هو لي خير رفيق
ما أنا من حبه بالمستغيث
مائتٌ في دربهِ النادي الوريق
وإذا باعدت عنكم يا رفيقي
لا تلم .. إني تبينت طريقي(١)

رهبة الموت والثقة برحمة الله:

وإذا كنت فيما سبق قد استعرضت بعض النماذج الشعرية التي انطلقت من البعد الإيماني العقدي، ألقي الضوء على دور النثر الإسلامي في ذلك المجال. وأبدأ بمقال الدكتور محمد رجب البيومي تحت عنوان " لا تخف من الموت "، الذي عرض فيه للحديث عن الموت الذي يرى فيه الإنسان القسوة ؛ لأنه يخطفه من أهله وذويه ويلقي به في حفرة حالكة، ويرى فيه الغموض والحيرة لأنه لا يدرك أمره، وما يعقبه من خطوات مستترة خافية، ثم يعرض بأسلوبه الرشيق المحكم تفنيد الآراء فيه من يرى كارثة فادحة وصورة رهيبة حالكة ومن يراه نهاية طبيعية محتومة يحن فيها إلى التراب ويرى فيه الراحة ثم يخلص في النهاية إلى ما يبدد كل الشكوك والمخارق ويشعر الإنسان بالطمأنينة والرضا من ذلك المصير والقدر المحتوم . يقول:

" ولكن كل هذه الشكوك تتبدد وتتلاشى أمام شيء واحد، هو الإيمان برحمة الله، وسعة عفوه، فإذا اعتصم الإنسان بإيمانه قلل من خوفه، وأيقن أن فاطر السموات والأرض قد وسعت رحمته كل شيء. وهنا يبدو الموت مرحلة أولى يليها مرحلة

(١) من الشعر الإسلامي الحديث – مختارات من شعراء الرابطة الإسلامية – ص٩٣، ط أولى، دار البشير الأردن ١٩٨٩م.

ثانية يحيطها الباريء بعطفه. وغفرانه، وهذا من ناحية ثانية يدفعه إلى سلوك طاهر في الحياة ليكون جديراً يعفو الله ونعمه رضاه ".[١]

المنهج الكامل وإعلاء شأن الإنسان:

أما الدكتور محمد أحمد العزب فيعرض لهدى الرسول صلى الله عليه وسلم الذي غير تاريخ البشرية، ورسم لإنسان المنهج القويم فجعله يحلق في آفاق الابداع الإنساني صاعداً في دربه إلى النور الذي لا يغيب والشمس التي لا تأفل إلى نور الحق عز وجل يقول:

" كان الإنسان قبل محمد صلى الله عليع وسلم يتكيء في قناعاته على مسلمات كثيرة، فأطلق محمد صلى الله عليع وسلم للإبداع الإنساني آفاق طموحه المشروعة، وأمَّن لخطوات التاريخ على طرائق الخير والحق، وجعل من القيمة وحدها مقياس التوافق مع الوجود الإنساني النبيل.. وزلزل هذا الإنسان أخيراً بثورة الروح تاريخ الهمجية على الأرض، فأطلق لأشواقه العليا أن تلوذ بمناطها الطبيعي، وأن تستريح من قرها إلى دفء الأولهية ".[٢]

* * *

وبعد فقد رأينا فيما مضى بعض النماذج التي تبين كيف وافق الأديب المسلم في تجاربه الفنية ذات البعد الإيماني العقدي قوله ﷻ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾.[٣] وقوله تعالى: ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾.[٤] فالأدب في الإسلام هو

---

(١) مجلة الأزهر مقال لا تخاف من الموت، د. محمد رجب البيومي، ص ٨٩٨-٩٠٣ بتصرف، د.ت.

(٢) من مقال محمد صلى الله عليه وسلم محرر الإنسان الومان والمكان، د. محمد أحمد العزب، بتصرف، مجلة الأمة العدد ١٥، ربيع الأول ١٤٠٢هـ، انظر موقع الشبكة العنكبوتية: http://www.fuetat.com

(٣) سورة فصلت الآية رقم

(٤) سورة الحج الآية رقم٢٤.

الأدب الملتزم التزام " صدق ويقين، والتزام لغة ودين، والتزام شكل ومضمون. وأهم معنى من معاني الالتزام في الأدب أن يعرف الأديب حقيقة العبادة التي خلقه الله لها، والأمانة التي حملها، والخلافة التي جعلت له، والعمارة التي أمر بها، والكلمة التي لا نعبد الله بها لسنا بحاجة لها فإنها زخرف عارض أو فتنة مفسدة ".[١] وصدق الشاعر حين قال:

غذيت قلبي بالكتاب وآيه ... وجعلت لي في كل حق منطقا
أنا يا قصيدة ما كتبتك عابثاً ... كلا ولا سطرت فيك تملقاً
خوان أمته الذي يشيدو بها ... بالزيف والتضليل حتى تفرقاً
خوان أمته الذي يرمي لها ... حبلاً من الأوهام حتى تشنقا
كالذئب من يرمي إليك بنظرة ... مسمومة مهما بدا متأنقا
شتان بين فتى تشرب قلبه ... بيقينه ومن ادعى وتشدقا[٢]

البعد الإنساني في الأدب الإسلامي:

وبعد فقد حان وقت لاستشراف المحور والبعد الثاني وهو البعد الإنساني بما فيه من آلام وآمال، أحلام وطموحات، غايات وأهداف وطنية، مجتمعية، سياسية وغيرها مما يشكل حياة الإنسان المسلم المعاصر في مسيرته وكفاحه عبر دروب الحياة في صعوده نحو الحقيقة والكمال، وذلك لا يعني أن عالم الأديب الإسلامي عالم مثالي خيالي بل هو عالم واقعي ثمرة تفاعل الإيمان بالحياة والفن الذي ينتج أدباً مميز الهوية محدد القسمات يجمع بين الأصالة والمعاصرة، يبني ويهدم، يعيش حاضره ولكنه موصول بماضيه من أجل مستقبله، " فالإسلام هو كياننا

(١) الأدب بين الجمال والزخرف، د.عدنان علي رضا النحوي، انظر موقع الشبكة العنكبوتية: http://www.alnahwi.com

(٢) قصيدة قالوا تطرف جيلنا، للشاعر الدكتور عبد الرحمن العشماوي، انظر موقع الشبكة العنكبوتية:
http://www.alshamri.net/sh3r/ashmawee/poem52.htm1

الحقيقي الأصيل العميق الذي يعطينا صفتنا الإنسانية، ويتيح لنا في الوقت ذاته أن نكتسب ذاتية متميزة في المجتمع الإنساني المتصل الحلقات ".[١]

تصوير حال الأمة المؤلم:

لقد تبارى الأدباء الإسلاميون في تصويرهم البارع لحال الأمة الإسلامية المعاصرة، تلك الأمة التي رضيت بالقول بدلا من الفعل. وقنعت بالذلة بدلاً من العزة. وأصبحت كالمطية المستأنسة التي تستكين لصاحبا – لعدوها – فيلجمها ويسرجها متى شاء، ويلوي عنقها ويوقف مسيرتها متى أراد. إن صرخات الشعراء والأدباء لا تعني أننا أمة أدمنت الجراح، واستهوت الدموع والأحزان، فالأديب لا يملك إلا الكلمة، والكلمة أمانة ومسؤولية. وعلى الأديب أن يؤدي الأمانة نحو أمته، فيوجه ويحذر ويبصّر ويحفذ الهمم ويشحذ العزائم، ولكنه في النهاية انسان لا يستطيع أن يخفى أحزانه وأوجاعه أو يكتم دموعه وآلامه.[٢]

وفي ذلك يطالعنا الشاعر مصطفى محمد رزق السواحلي بقصيدته عنترة يبكي على أطلال القدس قائلا:

هل غادر الباكون من متندم ... أم هل عرفت القدس بعد المأتم
دار لأحزان العروبة مرة ... ومثابة الآهِ المريرة في فمي
نامت على شفة اللهيب جراحها ... وصحت على جثث البواسل ترتمي
هي آهة البراء تغلى فوقها ... صرخات عرب واستغاثة مسلم
تفتال في فمي البيان فانتهى ... في نهر حزن ظل ينبع من دمي
بالأمس غنيت البطولة باسماً ... واليوم يغتال البكاء تبسمي
هلا سألت القدس بابنة يعرب ... إن كنت نائمة بليل مظلم
يخبرك من زار المدينة ليلة ... والقدس تغلى فوق حجر الأرقم
أن الذي حفروه بين ضلوعنا ... بركان حقد لليهود مكتَّم

---

(١) منهج الفن الإسلامي، أ. محمد قطب، ص ٢٢٥، ط رابعة، دار الشروق، القاهرة ١٩٨٠م.

(٢) الشعر الإسلامي واشكاليات التذوق الجمالي المعاصر " شهداء الأقصى نموذجاً "، د. أماني محمد عبد الفتاح.

سيكون قبر المعتدين ونارهم قبل التلوّي في لهيب جهنم
وسيحشر الطغيان في أحشائه حشر القمامة في ثنايا قمقم
سيعيد جيش النور في عليائها الله أكبر محو عارى بلسمي
تغريدة الأمجاد، قنديل الدجى نطق الصباح بها فلم يتلعثم
حتى نرى الأحجار تدعو مسلماً خلفي يهودي إليه تقدم
ونرى المدينة في زفاف ربيعها والمسجد الأقصى طليق المعصم[١]

والشاعر يستلهم الصورة التراثية للبطل العربي القديم الذي اشتهر بالقوة والشجاعة والدفاع عن العرض، فكيف به إذا قدر له معاصرة ضياع مكانه العرب وضياع الأقصى، فيتفجر بركان الغضب في كيانه ويثأر لكرامته ويعيد جيش النور حامل لواء الله أكبر الأقصى محرراً. " ومما لاشك فيه أن الشخصية التاريخية عندما تدخل في إطار العمل الأدبي تصبح شخصية أخرى لها همومها التي تنبع من واقع العمل الفني لا من الاطار التاريخي الذي انطلقت منه ".[٢] فعنترتنا يحمل لواء الله وأكبر ويحرر الأقصى فعنترة هنا ليس البطل التاريخي الحقيقي ولكنه رمز للمؤمن الأبي الشجاع الذي لا يقبل الضيم والذل، فيعمل بكل ما أوتي من قوة وبسالة وصبر وتحد على استرجاع حقه وشرفه وكرامته.

أما الشاعر الدكتور صابر عبد الدايم في قصيدته مدائن الفجر يعرض لواقع المجتمع الإسلامي المعاصر الذي أصبح فيه غريباً حيث صور واقع المخالفين في محاكاة غير المسلمين وانسلاخهم عن دينهم وهويتهم وتنكرهم لدينهم وواقعهم ومجتمعهم حيث يقول:

---

(١) مجلة الأدب الإسلامي، المجلد السادس، العدد الثاني والعشرون ١٤٢٠هـ، ص٨٨.

(٢) التجربة والصورة في شعر محمد أحمد العزب، د. أماني محمد عبد الفتاح، ص ١٨٥٨، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالاسكندرية، العدد الثاني والعشرون ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

معلق بين تاريخي وأحلامي ... وواقعي خنجر في صدر أيامي[1]
أخطو فيرتد خطوى دون غايته ... وما بأفقي سوى أنفاض أنغام
تناثرت في شعاب الحلم أوردتي ... وفي دمائي نمت أشجار أوهامي
مدائن الفجر لم تفتح لفافلتي ... والخيل والليل والبيداء قدامى
والسيف والرمح في كفي من زمن ... لكنني لم أغادر وقع أقدامي
وتحتي باستواء الريح أشرعتي ... والموج يقذفني أشلاء أنسام
أدور منقسماً في غير دائرتي ... ولست أبصر إلا ظل آلامي
غيرت جلدك لا شيء أنيره ... به سوى أنه من وضع أعجام
فهل أظل كما أقبلت من سفري ... معلقاً بين تاريخي وأحلامي
في شعاب المنى تتداح أوردتي ... وفي دمائي ترى أشجار أوهامي
والسيف والرمح في كفي من زمن ... لكنني لم أغادر وقع أقدامي

والقصيدة تتشح بثوب تشاؤمي المنزع، حائر الفكر، لكنها على الرغم من ذلك واقعية المضمون والروح، لأنها تعبر عن حقيقة الاضطراب الذي يعاني منه الإنسان المعاصر ولاسيما إن لم يكن متحلياً بقوة الإيمان وثبات الجنان، تتناوشه المحن وتعصف به أنواء الأهواء، ترمي به أنى شاءت، فيقبل ويذعن ويصبح تابعاً مقلداً لا خير فيه، لأنه لا يملك الارادة ولا يقوى عليها. فلا تتضح له شخصية ولا تظهر له هوية، لذلك سيظل معلقاً بين ماضيه التليد وواقعة البليد. وهذا هو المستوى أو الصوت الأول في القصيدة، ذلك الصوت التشائم لا تشاحه بسواد الليل بما فيه من الآم ورياح هوجاء وانعدام للرؤية.

أما الصوت الثاني فهو: " صوت الفجر القادم وما يحمله من ملامح قرآنية وحدائق إيمانية، ورايات إسلامية، وزرافات الشهداء، لذا فالقصيدة في فضائها ترنو لاستثمار مدخراتها الإيمانية الرقيقة من خلال التكثيف الذي يلقى بظلاله الحسية

(١) مجلة الأدب الإسلامي، مقال أللفجر مدائن للدكتور محمد بن سعيد بن حسين، ص٢٤-٢٥، المجلد الخامس، العدد العشرون١٤١٩هـ.

القادرة على شحننا بومضات مشرقة من خلال صيغ متناسية تستحضر التاريخ وتحاور رموزه ".[1]

ضحايا الاحتلال:

وفي مشهد قصصي من مشاهد قصيدة غب يا هلال يعرض العشماوي قصة طفلة عربية يتيمة فقد أبويها في أحداث باكية أليمة، تشعر كل أبي بالعار وذل الانكسار الذي حدق بالأمة الإسلامية فتركت جندي الاحتلال يعربد في حماها فيقتل الاباء ويهلك عرض الشرفاء الذين يستجدون العروبة للدفاع عنهم ونصرتهم ولكن لا مجيب، فيتشهدون دفاعاً عن كرامتهم. فيقول على لسان الطفلة التي تنغث عن همومها للهلال في مطلع العيد:

أنا يا هلال
أنا طفلة عربية فارقت أسرتنا الكريمة
لي قصة
دموية الأحداث باكية أليمة
أنا – يا هلال
أنا من ضحايا الاحتلال
أنا من ولدت
وفي فمي ثدي الهزيمة
شاهدت يوماً عند منزلنا كتيبة
في يومها
كان الظلام مكدّساً
من حول قريتنا الحبيبة
في يومها
ساق الجنود أبي

(١) مجلة الأدب الإسلامي، المجلد الخامس، العدد التاسع عشر١٤١٩هـ، مقال قراءة نقدية في ديوان مدائن الفجر، للأستاذ محمد شلال الحناحنة، ص١٦-١٧ بتصرف.

وفي عينيه أنهار حبيسة
وتجمعت تلك الذئاب الغبر
في طلب الفريسة
ورأيت جندياً يحاصر جسم والدتي
بنظرته المريبة
مازلت أسمع – يا هلال –
مازلت اسمع صوت أمي
وهي تستجدي العروبة
ما زلت أبصر نصل خنجرها الكريم
صانت به الشرف العظيم
مسكينة أمي
فقد ماتت
وما علمت بموتتها العروبة(١)

وأشير إلى المقطع الأخير من هذا النموذج الذي يعرض فيه الأديب المسلم لموقف المرأة المسلمة التي استبيح عرضها فدافعت عنه وصانته بما اتيح لها من سلاح بدائى – الخنجر – للدفاع عن نفسها وشرفها وهي على يقين من أنها لن تغلب عدوها المدجج بالعناد فلقيت حتفها مؤثرة الموت على الحياة.

وشتان بين تعبير الأديب المسلم عن المرأة الذي يجلها ويحترمها فيظهر موقفاً عظيماً من مواقفها ودورها. أو صورة حقيقية واقعية من ضور الحياة وبين شعراء الحداثة كنزار قباني على سبيل المثال – كما رأينا سابقاً في بداية البحث – حيث نظر إليها نظرة ضيقة ساقطة تعبر عن قصوره في الرؤيا وتطور المستوى الفني للشاعر شكلاً ومضموناً " إن نزار قباني لم يصل إلى مرتبة الرؤيا في الشعر

(١) غب يا هلال، للشاعر الدكتور عبد الرحمن العشماوي، انظر موقع الشبكة العنكبوتية:
http://www.alshamri.net/sh3r/ashmaewee/poem27.htm1

فنحن لا نستشف من تحوية حول المرأة أنه يتخذ منها ركيزة فنية لمناقشة قضايا أكبر. أخشى أن يصدق عليه قول محي الدين صبحي من أنه مراهق يتخذ من الجمال الأنثوي مثلاً أعلى يعبده ويقدسه ويلهو به كطفل عابث، إن نزار قباني الذي غنى للمرأة مئات القصائد لم يتجاوز قط السطح الخارجي لمشكلاتها، لم يتجاوز الحلمة والفستان والعيون والقميص...إلخ كأي شاعر صغير في مجتمع مختلف ".[١]

ميلاد فجر جديد:

على الرغم من عظم ما منيت به القضية الفلسطينية من محن وخطوب فإن الليل آن له أن يرحل وللشمس أن تشرق، وللطير أن يغرد على نغمات الفجر الجديد معلناً انتصار البطولة والفداء وهذا ما أعلنه الشهيد البطل الدكتور عبد العزيز الرنتيسي في قصيدته الليل آذن بالرحيل التي يقول فيها:

أنَّى التفت وجدت أن الليل آذن بالرحـيل
فالكل من حولي يسوق بشـائر المجد الأثيل
الماء والأزهار والأطـيار والظل الظليل
والجنة الغناء والأفـياء والنسم العليل
وتمايل الأغصان مثل الغيد في دلٍّ تمـيل
والفجر وصوص من قريب يرقب الصبح الجميل
والبدر يحكي في العلا شمماً بطولات الرعيل
والقلب وشوشنى بأن الظلم أوشـك أن يزول[٢]

أما التهامي فإنه يعبر عن يقينه وثقته من عودة الأقصى محرراً بعد رحلة عذاب وقهر أوقدت جمر الضلوع وأسالت غزير الدموع فيقول:

أراه بعـيني ملئ البصر وألمس لمس البـنان الحجر

(١) شعرنا الحديث إلى أين، د. غالي شكري، ص١٥٨ بتصرف، ط أولى، دار الشروق ١٩٩١م.

(٢) الليل آذن بالرحيل، د. عبد العزيز الرنتيسي، انظر موقع الشبكة العنكبوتية:
http://alrakifah.org/vb/archive/index.php?t_39569htm1

فما عاد أقصى ولكن هنا وعذبه الشوق حتى حفر
وعانقني وهو طيف الجهاد فذاب الجهاد وذاب البشر
جرى في دمي نبضه المستغيث فعذبني منه وخر الإبر
تحلق بي يحتمي من أساه وغطى على الدمع حتى انفجر
بكينا سوياً وفيض الدموع يضاعف من جمر ما استعر
فيا لك ليل تخطى الضلوع وداس على القلب حتى انفطر
وصور لي عالما في مداه تضج الحكايا وتبكي الصور
وحذثني عن جدار عتيد ومئذنة عاش فيها القمر
وعن قبة تغلب الراسيات إذا الأرض دارت لم تدر[1]

وبعد هذا العرض لبعض النماذج من قطوف دوحة الشعر الإسلامي المعاصر التي عبرت عن هموم الإنسان المعاصر والأمة الإسلامية، أعرض لبعض نماذج أخرى تعبر عن ذلك البعد الإنساني في ميدان النثر الإسلامي المعاصر.

المقالة الإسلامية وهموم الأوطان:

ومن الصور البارزة في النثر الإسلامي المعاصر وبالأخص فن المقال . الحديث عن الوطن بكل ما يتعلق بهذه الكلمة من معطيات، وما يتبعها من حفاظ على الحرية أو استرجاع للوطن السليب والحث على الجهاد، وبعث الهمم وشحذ العزائم الصبر على المقاومة والتحدي للمعتدي . والجمود والتطور وما يتبعها من مناقشة قضايا التخلف الثقافي والاجتماعي في التربية والتعليم والغزو الثقافي. السياسة والدين، الغنى والفقر... إلى آخر هذه الثنائيات التي تشكل تحديات للوطن ومسؤولية على المواطن. تقول الكاتبة جهاد الرجبي في مقال لها بعنوان " فلسطين لا تعرف الموت: " حفاة على الجمر نسير، وعلى الجمر تحترق أمنياتنا، سنين

(١) مجلة الأدب الإسلامي، المجلد الحادي عشر، العدد الواحد والأربعون، ص٣٤-٣٥، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

الشوك غرسوها في صدورنا، فأنبتت جراحاً رويناها بالذاكرة أدفع وهذا الوطن المذبوح ثمن أكذوبة أسموها إسرائيل، أنبتوها على الورق وقالوا لها في أرضنا جذور أسقوها من دمنا غير سنين التشرد والعجز، من جماجم الصغار الملقاة على الطرقات، من بطون أمهات مزقت فيها براءة الأجنة، ومن عرض نساء تمنين الموت حين فقدت رائحة العروبة الغيورة، مذابح صنعوها لنا في كل المرافئ، لم تكبر كذبتهم، ولكن كبرت فينا الذاكرة... إسرائيل الاكذوبة لم تستطع المذابح والتشريد والملاحقة للأسماء المجاهدة أن تجعل منها حقيقة تمتد بجذورها في تراب الوطن، ما زالت المقاومة بالحجر، وبفتات الجسد تحفظ للوطن المسلوب هيبته، وتجمع خيوط الشعب المشتت، وتضيء عتمة الزنازين.(١)

والكاتبة كما نلحظ عرضت لقضية استلاب الوطن وتشريد أهله وملاحقتهم بالقتل أو بالسحق من قِبَل اليهود، لكنها تعلن أنه على الرغم من أن أرض الوطن تروى بالدماء وتغرس بالجماجم فإنها تنبت دائماً المقاومة بالحجر تلك المقاومة هي الخيار الوحيد للفلسطيني من أجل الحفاظ على هيبة الوطن وجع شتاته. ويبدو في أسلوب الكاتبة لذعة الحزن ومرارة الحرمان وقهر الاغتراب عن الوطن بأسلوب شاعري مؤثر مع تمييزها بالواقعية في عرض قضيتها والتأكيد على روح الصمود والتحدي التي تميز المواطن الفلسطيني الأبي بلا حدود.

أما النموذج الثاني فهو إحدى مقالات الدكتور جابر قميحة الذي يتميز بغزارة الإبداع شعراً ونثراً مع رقي الأسلوب، وبراعة العرض، والتأثير في القاريء وفي إحدى مقالاته يعرض بأسلوبه الساخر الرفيع لعدة قضايا مهمة تتعلق بموضوع التربية والتهذيب للمجتمع الذي بدأت تنخر فيه آفات لم يسمع عنها الآباء والأجداد فيما يتعلق بالمرأة والرجل على السواء، ويؤكد على أهمية احترام الطابع الشرقي الإسلامي وعلى الأصالة والحفاظ على الهوية وعدم الارتماء في أحضان الغرب دون التمييز بين ما يفيد وما لا يفيد، وبين سبب اختياره لهذا الموضوع بأنه

(١) مقال فلسطين لا تعرف الموت، جهاد الرجبي، انظر موقع الشبكة العنكبوتية:
http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/fan_34marooj4.asp

كان ضيفاً على إحدى القنوات الفضائية التلفازية مع مجموعة من الشخصيات الأخرى المعروفة للمشاهد العربي، حول موضوع تواصل الأجيال ومكان الجيل الحاضر من الجيل الماضي، وعبر أحد الضيوف عن ازدرائه الشديد لكل ما هو شرقي وعربي، وتحمسه الشديد أيضاً لكل ما هو غربي مشيداً بالتجربة الاستقلالية وبعد كثير من الكلام ختم ذلك الضيف قوله بجملة صادمة هي: كان آباؤنا يمثلون جيل البلهاء . وذلك مما أثار حفيظة الأستاذ الدكتور جابر قميحة فانبرى يدافع عنه دفاع المسلم عن دينه وعرضه قائلاً[1]:

" وصدمتني الجملة الأخيرة صدمة عنيفة، فقلت: يا سيدي الدكتور " جيل البلهاء " هذا – من آبائنا وأمهاتنا – هو الذي علمك وهيأ لك ولنا أن نكون أشاتذة جامعيين، وأن تأخذ مكانك الآن متحدثا إلى الجماهير عن طريق التلفاز. وقد أخفقنا نحن في تحقيق بعض ما حققوه مع أبنائنا. ثم إن علينا أن نفرق بين " التربية الانفصالية " وما في الغرب، أما صلة الرحم والتكافل، والتعاون على البر والتقوى، فقيم لا مكان لها في الغرب، حيث المادة هي صاحبة الهيمنة على العقول والمشاعر.

وحينما نسترفد الإسلام، ونحيل عليه، ونوجه الأنظار إليه، فإن ذلك لا يعني أن نغلق أنفسنا، ونحصنها ضد كل ما هو غربي، بل إن هذا يعني أن نتجه ابتداء إلى أنقى المنابع، وأصفى المصادر، وأثراها وأكرمها، مع الانفتاح لكل ما ينفع ويفيد من رصيد الآخرين، فقد تعلم كثير من شباب المسلمين القراءة والكتابة على أيدي المشركين من أسرى بدر، ومن هؤلاء: زيد بن ثابت رضي الله عنه، وصار أقرأ الناس وأكتبهم، وهو جامع القرآن وكاتبه في عهدي أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما. وقد أمره رسول الله ﷺ بأن يتعلم " لغة يهود " حتى تكون لغة المراسلة بينه وبينهم، ليأمن مكرهم، ويقطع عليهم طريق التحريف والتزوير، فأتقنها في أسبوعين.

---

(١) مقال الزواج يقضي على ابداع النساء!، د. جابر قميحة بتصرف، انظر مقع الشبكة العنكبوتية: http://www.lahaonline.com

والنبي ﷺ يوجه المسلمين بقوله: " الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها ". واستجاب لسلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق حول المدينة، وهي فكرة فارسية. وكذلك أخذ عمر رضي الله عنه نظام " الدواوين " عن الفرس.

واستلهام القيم الدينية، وأخذ النفس بها؛ يكتب لهذه القيم التعميق، والثبوت في العقل والوجدان والمشاعر ؛ لأن الدين أقوى هيمنة على النفوس السوية من الوضعيات البشرية ".

القصة الإسلامية والتعبير عن الواقع:

استطاع الأديب الراحل نجيب الكيلاني أن يقدم صورة للأدب الإسلامي المنشود، وأثبت أنه وثيق الصلة بواقع الحياة ويقف شامخاً في مواجهة الآداب الأخرى، ورد عملياً على الإبداعات التافهة عبر حياة جادة حلفت بالعطاء الأدبي المثمر، وإذا كانت الساحة الأدبية قد افتقدت ذلك العَلَم البارز فإن معينها لم ينضب، فهي تحظى بكثير من المبدعين حاملي لواء الأدب الإسلامي وهم كثير لا يتسع المجال لذكرهم أو حصرهم، ولكني أكتفي بنموذجين أبرز من خلالهما جودة النتاج القصصي المعاصر وفق التصور الإسلامي، وحرص القاص المسلم على تعدد المضامين التي تبرز مشكلات الإنسان المعاصر من زوايا شتى، اتسم فيها عطاؤه بالواقعية والموضوعية والتنوُّع والتجدد، إذ لم يكن دوره دور الواعظ بل الموجِّه بطريقة غير مباشرة للعقول والقلوب بالتأمل في واقعها بما فيه من أخطاء وخطايا تفسد على الإنسان مهمته في الحياة التي خلق لها . وهما :

أولاً: مجموعة "الريح والجذوة [١]"

وهي للدكتور حسن الوراكلي تضم عشر قصص قصيرة هي: الريح والجذوة – نهر طالوت – حمزة يعبر النهر – الخروج من الزمن الموحش – السحابة السوداء – الصرة – العجل – الغشاوة – صورة – الخنساء تزغرد على شرفات القدس .

(١) المشكاة، مقال رحلة مع الريح والجذوة، للأستاذ محمد حسن بريغش، عدد ٤٤/٤٣، ص٩٥-١٠٣ بتصرف.

والمجموعة كلها ترتكز على فكرة استرداد الوعي عند الإنسان المسلم، الوعي بعقيدته وهويته وذاتيته وفق رؤية متميزة للكون والحياة والمجتمع والتاريخ وباسترداد وعيه يسترد دوره المنوط به في استئصال الزيف والشر والقبح والتسلط .

كما تضم أربع لقطات " أقاصيص " عكست صوراً اجتماعية مختلفة عن الوسائل المتعددة لقهر الإنسان وتلويث فطرته السليمة، واستغلال حاجته وفقره، كما تبين صور التفرقة والظلم الاجتماعي.

ففي قصة " **الريح والجذوة** " التي سميت المجموعة باسمها يناقش الكاتب فيها مرارة الواقع وكثرة وجوهه وتعدد أشكاله وسلب فلسطين وتدنيس الأقصى وإذا كان الكاتب في هذه القصة يصور الأحباط واليأس إلا أنه لا ينسى تصوير الأمل والرجاء أيضاً ويميل أسلوبه في القصة إلى الرمز والايحاء الذي يوحي بإسقاطات على الواقع المؤلم .

نهر طالوت: ويتناول فيها الكاتب جانبي الشر والخير، فجانب الشر يظهر في سطوة المال والإغراق في حبه الذي يقود لارتكاب المحرمات، وقتل الرحمة ومحو الإنسانية من القلوب بالتالي تتجلى مشاعر الحرمان والظلم وقهر البسطاء . أما جانب الخير فيتجلى في إبراز القدوة الحسنة والفطرة السوية من خلال صورة الآباء الذين كافحوا وجاهدوا على طريق الجد والارتقاء.

حمزة يعبر النهر: وهي تتحدث عن مأساة البوسنة والهرسك وتصور حقد الغرب وبشاعة جرمه في حق الإسلام والمسلمين مما أشعل جذوة الصحوة والنخوة والنجدة في وجدان أبناء الأمة الإسلامية، فاجتازوا البلدان والبحار لنجدة إخوانهم والقصة تعتمد على تقنية التناص ومزج الحاضر بالماضي والمستقبل.

الخروج من الزمن الموحش: وتصور سقوط الشعارات الزائفة وتحطمها على صخرة الواقع الأليم الذي تعاني منه الأمة الإسلامية مما جعل الناس يكفرون بتلك الشعارات وبمروجيها .

السحابة السوداء: وفيها يصور القاص محنة رجال الدين من الدعاة الذين يتعرضون لبطش السلطة، ولكنهم على الرغم من ذلك يتمسكون بخيار الدعوة ومحاربة الفساد الأخلاقي والفكري.

الصرة: وتعرض حالة البؤس والشقاء في المجتمعات الريفية البسيطة التي تفتقد لأبسط مقومات الحياة مما يجعلها نهباً لأوهام الكسب والثراء بالخارج من خلال فرص عمل مزيفة يتاجر بها حفنة من اللصوص، الذين يستغلون أحلام البسطاء الذين يفعلون أي شيء مقابل تحقيق ذلك الحلم الزائف وهم في سبيل ذلك يقتلون كل القيم.

العجل: وهي تتحدث عن سطوة المال مرة ثانية ولكن من زاوية أخرى حيث تعرض للصراع بين الخير والشر، المال والعلم، الاستقامة والانحراف. فبطل القصة نشأ في بيت علم وتقوى وعفاف ولكنه يتمرد على واقعه نتيجة ما يراه حوله من ثراء الآخرين مما يولد في نفسه صراعاً حاداً لا يستطيع التصدي له فيؤدي به إلى السقوط المروع .

الغشاوة: وهي تعرض للصراع في مجتمع طلاب الجامعة بين الأفكار الدخيلة والأحزاب العلمانية ومحاولات الاستقطاب التي تجري لهم ولاسيما القادمين من الريف والأماكن البعيدة عن الجامعة وإغرائهم بتحقيق الذات والسلطة مما يدفع الكثيرين من هؤلاء الشباب للوقوع في براثن تلك الأفكار ولكن بعد فترة يدب في نفوسهم الصراع بين الفطرة والانحراف مما يؤدي إلى صحوة الكثيرين الذي يكتشفون ذلك التناقض .

صورة: وهي قد اعتمدت على البطل الرمزي الذي ينتظر قادماً له وفي أثناء انتظاره لهذا القادم يشاهد مشاهد مختلفة من مسرح الحياة تعكس كم الانحرافات والفساد بشتى صوره في المجتمع فيروعه الأمر من هول ما يرى ولا يدري تفسيراً لما رآه !! ثم يأتي القادم المنتظر فيحكي له عما رآه ويسأله سؤالاً دار في نفسه وهو متى يهتدى الناس ؟ فيجيبه بقوله حتى تأتيهم البينة مبرأة من الشوائب، مجردة من الأهواء، غضة طرية كما أُنزلت فالهداية ليست قولاً فحسب بل هي قول وعمل تعامل وممارسة، مظهر وجوهر. والقصة تعتمد على أسلوب الرمز ومنه يسقط الكاتب على الواقع فالتناقض بين القول والفعل يعكس غربة الإنسان عن قيم وينادي الإسلام وروحه، مما يوقعه في صور الانحراف والفساد لأنه لم يفهم جوهر الدين ولم يعمل به.

الخنساء تزعرد على شرفات القدس:

وهي تبرز كفاح الشعب الفلسطيني ضد الصهاينة، وقدرته على المقاومة والتحدي فتعرض لموقف الأمهات الصابرات المجاهدات اللائي يدفعن أولادهن للاستشهاد في سبيل الوطن وفرحهن بتقديم أولادهن للشهادة .

وقد اعتمد الكاتب في صياغته للقصة على أساليب منوعة مثل الحكاية، والسرد، واللقطات السريعة، والرمز، مما يدل على تمكن الكاتب من حرفته القصصية، بل وإبداعه أيضاً بتنويع المضامين التي تثبت قدرة القاص الإسلامي على استيعابه للحياة بما فيها في إطار يتوافق مع التصور الإسلامي. وهو أيضاً ما يعبر عن تميزه بالأصالة وبأسلوب يميزه عن غيره من الكتاب حيث يظهر تأثره الواضح في التناص مع القرآن الكريم والحديث الشريف، مما أكسب الأسلوب رصانة وقوة مشهودة . فضلاً عن استلهامه للتراث بأمجاده مما يضفي أبعاداً تاريخية على أحداثه ورموزه القصصية.

ثانياً: مجموعات جهاد الرجبي القصصية:

وهي قاصة مبدعة حصلت في بداية مشوارها الأدبي على جائزة الرواية الأولى عن روايتها " **لن أموت سدى**" إلى جانب العديد من جوائز القصة القصيرة والابداع الأدبي. ولن أسرد المضامين في قصصها وذلك لأن المقام هنا ليس مقام النقد والتحليل ولكن إعطاء إضاءات وإشارات إلى الهدف الذي أسعى إليه وهو قدرة الأديب المسلم على العطاء الجاد والتميز نتيجة التزامه وشعوره بالمسؤولية وأمانة الكلمة وعظمها. كما أن الكاتبة كرست قلمها وجهدها للدفاع عن وطنها فلسطين حتى تحريره وجعلته همها الأول والأخير، فهي تركز دائماً على الوطن الفلسطيني من كل الزوايا: **الاحتلال – الصمود والتحدي رغم أهوال التعذيب – الغربة والتشريد – صورة المرأة القوية المناضلة المجاهدة – بطولة الطفولة – شجاعة الرجال وتضحيتهم فداء للوطن – التمسك بالحق حتى النهاية...إلخ**[1]،

(١) انظر دراسة تقدية تناولت قصصها القصيرة، بعنوان القصة الفلسطينية القصيرة المعاصرة – جهاد الرجبي نموذجاً – مقاربة في المضمون وتقنيات الفن القصصي، د. أماني محمد عبد

فهي تسعى دائماً وتحاول جاهدة من أجل تغيير هذا الواقع الأليم بالحث على الجهاد للدفاع عن الأرض والعرض، فلا قيمة للحياة مع احتلال الوطن وتشريد الأهل وقتل الأبرياء من الأطفال والنساء والعجائز والفتك بالرجال وتعذيبهم والتنكيل بهم أحياء وأمواتاً.

ومن ثم فإني سأكتفي بتسليط الضوء على جانب واحد في أعمالها القصصية وهو صورة المرأة الفلسطينية في قصصها، من خلال قصص :

البحار تسأم لونها، لسنا غرباء، خنساء فلسطين الثانية، الاستشهادية الأولى وفاء إدريس، عروس تزفها السماء، أثناء الولادة .

حيث اختلفت صورة المرأة ومستويات ظهورها ودوران الأحداث حولها والغرض من الارتكاز عليها أو دورها في القصة والغاية من وجودها . ففي قصة "**البحار تسأم لونها** " . تظهر المرأة هنا بصورة الأم المجهدة الصامدة التي تتحمل أعباء الحياة ومسؤولية الأسرة بمفردها بعد فقد الزوج واستشهاده على أيدي اليهود من قبل، ولكنها في هذه المرة تستقبل في جوف الليل ابنها الأكبر مضرجاً في دمائه بعد ما ألقى به جنود الاحتلال جثة هامدة " فتشت أمه في الجسد الممدد على الأرض عن وجهه، وجدته نائماً في حضن الموت، فبكت لتخرج من جوفها المشتعل صرخة واحدة، تروي نظرات الصمت الممتدة نحو الجنود بغضب . كان الليل يتظاهر بالسكون، كان غاضباً.. حزيناً! دائماً يلقون الشبان في الليل، جثثاً تدفن بدموع الأمهات دون صراخ ".[1] مزق الحزن قلب الأم وهي تحمل في قلبها آهات مكتومة على المدى، تبكي وتتحجر الدموع في عينيها، يعتصرها الألم، ويبرحها الفراق ولكنها تبصر، ولكن إلى مدى تستطيع الصبر؟ وإلى متى؟ فقررت الثأر لابنها ولشهداء فلسطين، على الرغم من علمها بمصيرها المحتوم إن فعلت

الفتاح، كلية الألسن، مجلة اللغات والترجمة، المجلد الثاني، العدد الثالث، الجزء الأول، ص١٠٣٦-١٠٧٤، عدد خاص فعاليات المؤتمر الدولي الثالث لكلية الألسن، جامعة المنيا " تحديات اللغة والثقافة في مواجهة العولمة ٣-٥ إبريل٢٠٠٦م.

(١) البحار تسأم لونها، جهاد الرجبي، ص١٠٥.

ذلك، فصممت على الانتقام للوطن وللشهداء.اقتربت من أحد الجنود المدججين بالسلاح على باب الحرم الابراهيمي، فدفعها بسلاحه لكنها باغتته بسكينها واطلق عليها وابل من الرصاص. فالمرأة الأم في هذه القصة هي محور الأحداث والمحرك الرئيس لها.

أما قصة " **لسنا غرباء** " . فبطلة القصة شابة اسمها رماح كانت تحلم بالعودة إلى الوطن مع أمها لزيارة أقاربها وبعد طول معاناة وعذاب بالغ استطاعت أمها الحصول على تصريح الدخول، وتعرض الكاتبة لمشاعر رماح طوال الرحلة وما لاقته من عذاب وقهر عند عبور نقطة الحدود من تفتيش على أيدي اليهود يقهر كرامة الإنسان وكبرياءه .

وتقدم صورة أخرى من صور الأم في قصة " **خنساء فلسطين الثانية** " تحمل يقيناً وإيماناً وعزماً وصبراً وأملاً بلا حدود فهذه الأم هي التي دفعت بابنها على طريق الشهادة صابرة محتسبة من أجل الوطن دون أن تقهرها مشاعر الأمومة " دمع حارق في عينيها والقلب ينزف بالقهر! تراقب أم الشهيد محمد فرحات وهي تودعه فتكويها دموعها وهي تتخيل صمت الأمومة لحظة الوداع الأخير... تفرح للشهداء وتغبط أمهاتهم على سكينة الصبر، وتتخيل فرح اللقاء حين يقف المرء بين يدي الله حيث لا خوف عليه ولا هو يحزن... ".(١)

أما قصة " **الاستشهادية الأولى وفاء إدريس** " . فتحكي قصة تلك الفتاة طالبة الطب التي كانت ترى كل يوم شعبها يتمزق برصاص عدو لا يرحم من خلال عملها بالمستشفى، فرأت وشهدت ممارسات العدو الباطشة عن كثب، حتى هي نفسها لم تسلم من الرصاص عدة مرات، فقررت أن تفعل شيئاً تذيق فيه العدو مرارة الكأس وغصته، والكاتبة هنا تبرز منطق الشخصية وسبب اتخاذها لهذا القرار الجريء المكلف للحياة، فالبطلة هنا لم تكن يائسة من الحياة ولا فاشلة ولا مكروهة ولا قبيحة بل كانت على العكس من ذلك كله فتاة ناجحة نابضة بالبشر

(١) خنساء فلسطين الثانية أم الشهيد محمود العابد، جهاد الرجبي، ص٦٣.

والحيوية، خدومة عطوفة متفائلة ويأتي الدفاع على لسان البطلة قائلة للمسؤولين عن العمليات الاستشهادية: " النساء هنا يدفعن أكثر مما تظن ! تموت المرأة مع طفلها وهي تشاهد رأسه يتفجر بالرصاص، وتموت مع أخيها حين يقتنصه العدو من النوافذ المحتلة، وتموت وهي تعُدُّ أبناءها قبل أن تنام، وتختم نهارها بالدعاء لزوجها المعتقل... ماذا بقي للمرأة الفلسطينية كي تخسره ؟! الإذلال على الحواجز من نصيب الجميع، والرصاص لا يفرق بين المارة حين يعانق الأجساد! (*)... على المرأة هي الأخرى أن تخيفهم، أن تجعلهم يرتجفون، لنحقق معادلة الرعب التي لن يخرجوا دونها، تستطيع كتائب الأقصى أن تمنحني فرصة التقدم بدمي، ولأكن أول من تفعلها، فإن كان الرفض هو الجواب، وهو يراقب وفاء الزهرة تفجر عطر استشهادها حتى لا يذبل الوطن.(١)

وتأتي قصة " **عروس تزفها السماء** " في السياق نفسه فالشهيدة آيات الأخرس طالبة في المرحلة الثانوية كانت على أعتاب الزواج من شادي خطيبها، تتمتع بالثقة بالنفس وحب الجميع والأمل في الحياة ولكنها قررت الانتقام من اليهود الذين يجهزون للاحتفال بعيدهم " على أشلاء شعب أعزل جائع لمراسيم عيدهم الذي فرضوه على أرض ترفضهم ... رحلت آيات لتبقى ككل الشهداء، خلفت وراءها جمرة كلماتها وهي تصرخ بكوفيتها الفلسطينية، وا أقصاه ! وا إسلاماه ! " تستثير حمية حكام العرب، ليبقى دوي الصرخة يطل من شرفة الأيام مع فتات الجسد. (٢)

أما القصة الأخيرة وهي قصة " **أثناء الولادة** " فتعرض صورة بشعة من ممارسات اليهود ضد المرأة الفلسطينية حيث يقبض اليهود على عائشة – في الأيام الأخيرة من حملها – من أجل الادلاء بمعلومات عن زوجها الذي لم يصلوا إليه بعد ويمارس ضدها شتى ألوان الاهانة وتمزيق الكرامة والتعذيب النفس

(*) أسير في طريقي إلى الله ولو بسكين.. أسفرت عملية وفاء ادريس الاستشهادية عن مقتل اسرائيلي واحد وجرح مئة من المحتلين.. أما الجرح الغائر فقد أصاب الضمير العربي.

(١) الاستشهادية الأولى في انتفاضة الأقصى، جهاد الرجبي، ص٣٣-٣٦.

(٢) عروس تزفها السماء، جهاد الرجبي، ص٨١-٨٢.

والبدني، ولكنها تصر على الصمت وعدم الادلاء بأية معلومات تفيدهم بشيء، فانتقم منها المحقق بشق بطنها وهي حية واخرج ذلك المخلوق البريء وكان ذكراً فمثل به أبشع تمثيل . وهكذا تلقى المرأة الفلسطينية من صنوف العذاب و الأهوال وتلقى حتفها في غياب ضمير العرب والمسلمين والعالم !! .

لقد أرادت الكاتبة خدمة قضيتها ووطنها فاستعرضت جوانب من حياة المرأة في صور متعددة كما رأينا أبرزت من خلالها قدرة المرأة الفلسطينية على تحمل مالا تستطيعه غيرها من النساء، وغيرتها وإيمانها وتضحيتها، كما أبرزت من خلال ذلك وحشية وفظاعة ممارسات اليهود ضد شعب أعزل، فكتبت لنفسها خصوصية واختطت لقصصها طابعاً مميزاً لم تخرج فيه على حدود ولم تدع فيه إلى رذيلة، فأخرجت أدباً مسؤولاً، مدركاً لأبعاد قضية داعياً لنصرتها .

* * *

ولعله قد اتضح للقارئ من خلال ما سبق عرضه من القصص الإسلامي الملتزم أننا أمام فن متميز، له أصالته مضمونا وأداءً ؛ إذ عبَّر عن واقع معاش، ومشكلة ماثلة، ومعاناة إنسانية واضحة، كما اتخذ الفصحى أداة له، وهذا يؤكد الأصالة من جانب والعصرية والخلقية من جانب آخر .

وحتى لا أغمط حق الناقد الإسلامي الذي يحمل على أكتافه مسؤولية وأمانة الكلمة التي تبنى ولا تهدم، تعلو ولا تهبط، فهو الحكم والضابط والمعيار للأدب الراقي الملتزم، فكلما سما في نقده عن الهوى فأشاد بالجليل . ارتقى الأدب والذوق وحلق الفن الهادف في سماء الإبداع وفيوض الجمال، ولا ريب أن حركة النقد الأدبي الإسلامي في صعود وازدهار فني راق، ولا يكفي أن تذكر الساحة الأدبية فضل أقلام هؤلاء الأعلام . وقد أشرت واستعنت في بحثي بكثير منهم واعتمدت على آرائهم في ثناياه حسب مقتضيات البحث وما أتيح لي من مراجع. فللنقاد دور بارز في تقويم المسيرة الأدبية وتصحيح مسارها نحو الطريق الصحيح.

مسؤولية الناقد المسلم :

ومن القضايا المهمة – فضلاً عما سبق من قضايا – التي عرض لها النقد الإسلامي المعاصر موضوع السيرة الذاتية ومدى إفساح المجال والحرية للمسكوت عنه . فهل تسجيل السيرة الذاتية يعني أن يكتب الأديب عن حياته دون الخوض في لحظات الضعف والتردي الإنساني أو الأمور الشائكة في حياته، والاكتفاء عوضاً عن ذلك بتسجيل المشاهدات والخواطر حول قضايا اجتماعية أو سياسية وحضارية وثقافية شهدها مجتمعه وعايشها فتتحول السيرة الذاتية إلى سيرة للمجتمع والفكر في عصره ؟ أو تعني السيرة الذاتية أن يلوذ الأديب الحداثي بالجرأة الشديدة فيتابع لحظات الضعف والسقوط الإنساني والأخلاقي في حياته ويركز عليه معتبراً أن ذلك من شجاعة الرأي وحرية الفن كما في النموذج الغربي ؟ الذي قلده بعض أدباء العرب المحدثين والمعاصرين ومنهم من مزج بين سيرته الذاتية والمتخيل الروائي بصورة الكتابة التحليلية الموضوعية وهذا ما أطلق عليه النقاد " أدب الأحداث أو أدب الواقع" لتحليه بالأمانة والبوح الصادق عند سرد الأحداث والوقائع والتجارب. ويتميز هذا اللون عن بقية الفنون الأدبية بالمرونة في أسلوب الكتابة وبالانسيابية في السرد والبساطة في التعبير ".[١]

حيث نرى أديبات مثلاً يتعللن بالبوح الذاتي وإلغاء الخطوط الحمراء – أو ما يسمى بالعيب – وحرية الفن التي تبيح للأديبة التفاصيل والتصريح بمسائل حساسة وشائكة تتنافى ببساطة مع الحياء – الذي هو شعبة من شعب الإيمان. فنرى إحدى الأديبات المعاصرات مثلاً تقول عن روايتها " أسلمت ذاتي لجرأة أردتها ككاتبة، أسلمت أشرعتي لريح الانطلاق والتحرر من كل خوف أو ممنوع أو مرفوض، وعدت تلك الطفلة التي كانت تطلق ساقيها في الهواء " وتقول أيضاً في حوار أجرى معها حول سؤال وجه إليها عن الجرأة في طرح المسكوت عنه، والفهم الديني، والتعددية في المجتمع الواحد، فقالت: على الفنون والآداب أن تقوم بدورها

(١) مقال عن السيرة الذاتية، عبد الله المدني، انظر موقع الشبكة العنكبوتية: http://www. ……artical…..artical15068

الطبيعي في تشكيل وجدان الأمة وصحوتها، وأن على الفكر الل... إلى التصدي للظلاميين... ثم تدافع عن نصر حامد أبو زيد ونوال السعداوي وغيرهم ".[١]

والحقيقة أن كتابة السيرة الذتية ينبغي أن تلتزم الحيدة في ذلك يرى الدكتور إحسان عباس " أن كاتب السيرة الذاتية لا يصور نفسه فحسب، وإنما يحكم عليها، ويحاول أن يتجرد من الرابطة العاطفية التي تشده بها ".[٢]

والأديب المسلم مطالب أن يرتفع بالأحاسيس البشرية إلى مستوى الطهر الإنساني، وليس معنى ذلك أننا نفترض المثالية في كل كاتب يتحدث عن نفسه، بل معناه أننا نفترض فيه أن يكون قاضياً عادلاً، يرى الفضائل فيحبذها ويشيد بها، ويرى الرذائل فيعترف بخطئها.[٣]

ويذكرني ذلك بموقف نبيل قرأته عن الأديب الراحل نجيب الكيلاني الذي يرى أن الأديب المسلم يجب عليه السمو عن تصوير الرذيلة بشكل ربما يوقع القاريء فيها، واعترف أنه أخطأ وأثم بكتابته لرواية " ليل الخطايا " التي يقول عنها: كانت بها جرعة زائدة من تصوير العواطف بين المرأة والرجل، كما أنها تتعرض لمشكلة الخيانة الزوجية التي أمقتها أشد المقت، وقد اندفعت لكتابتها تحت فورة وحماس بالغين ؛ لأني عرفت أبطال هذه القصة وألممت بالخيانة التي آلمتني، فقررت أن أكتبها في رواية، وكأني انتقم أو أحارب الخونة، الذين لا يرعون في الله إلا ولاذمة، ورفض نجيب إعادة طبعها، ورفض كل العروض التي قدمت إليه لإعادة طبعها.[٤]

---

(١) انظر موقع الشبكة العنكبوتية: http://www.lailaatrash.com/presentation/alrai%20althaqafi.htm

(٢) فن السيرة، د. إحسان عباس، ص١١٣، سلسلة الفنون الأدبية، ط السادسة، القاهرو ١٩٨٩م.

(٣) مجلة الأدب الإسلامي، المجلد الأول، العدد الثالث، محرم ١٤١٥هـ، ص٧، مقال منهج الأدب الإسلامي في السيرة الذاتية، د.محمد رجب البيومي.

(٤) من آليات الفن القصصي في شعر نجيب الكيلاني، د. جابر قميحة، انظر موقع الشبكة العنكبوتية: http://www.adabarham.net/show.php?sid=8931

فالأدب الإسلامي من وسائل الارتفاع بالإنسان إلى آفاق الفضيلة. وكذلك كاتب السيرة عليه أن يحتذي الطابع الإنساني الكريم في ضوء الإسلام، فيصير أدبه جديراً بالانتساب إليه، وذلك لا يعني الاحتذاء الأدبي لصورة من الصور أو لعصر من العصور، إنما نريد السمو بالأفكار، والارتفاع بالخواطر، والانسياق مع الروح المؤمن في التصوير والتحليل والتخييل، وإذ ذاك يشعر القارىء أنه ارتفع بما يقرأ ولا يشعر أنه هوى إلى بئر مظلمة ذات دجى وتعفن، كما تلمس اليوم لدى من يفرقون بين رسالة الأدب، وسباب الطعام، ممن يقولون كل ما يطرأ على أذهانهم دون مبالاة، ولا يستوي الخبيث والطيب، ولو أعجبتك كثرة الخبيث.[1]

(١) مجلة الأدب الإسلامي، المجلد الأول، العدد الثالث، ص١١ بتصرف، مقال منهج الأدب الإسلامي في السيرة الذاتية.

النتائج :

وهكذا بعد رحلة ليست بالقصيرة في رياض الأدب الإسلامي المسؤول المتمسك بالمنهج الرباني ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ و ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ يتبين عدة أمور من أهمها:

١) تلاحم عرى الاتصال الوثيق بين الأدب والدين فلولا الدين ما أصبح الأدب مسؤولاً ولا أميناً ولا هادفاً ولا سامياً.
٢) عمق الأدب الإسلامي وشموله واتساعه وتعدد أبعاده واتجاهاته.
٣) أصالة الأدب الإسلامي ومعاصرته، فمن الجذور تمتد الفروع وتتواصل، ومن القديم يمتد الحاضر ويُستشرف المستقبل .
٤) تميَّز الأدب الإسلامي بالخروج من ضيق الأنا إلى رحابة " نحن أو الجماعة ".
٥) الأدب الإسلامي لا يرفض المذاهب الغربية ولكنه يتخير منها ما يوافقه .
٦) تمكُّن الأدب الإسلامي من (حِرَفيَّة) الفن وإحكام صنعها.
٧) معين الأدب الإسلامي لا ينضب من أعلامه المبدعين والواعدين الشرفاء الذين يحملون أمانة الكلمة وعبء المسؤولية.
٨) عالمية الأدب الإسلامي وقدرته على العبور للآخر من المتلقين في شتى مشارق الأرض ومغاربها .

المقترحات :

وحتى يتحقق المزيد بإذن الله من النتائج المثمرة للأدب الإسلامي لابد من مواجهة الذات حتى يتحقق الطموح إلى الأفضل وذلك عن طريق بعض المقترحات التي من أهمها :

١) ضرورة تشجيع المزيد من المواهب الأدبية الواعدة.
٢) ضرورة تكثيف المؤتمرات والندوات الثقافية.
٣) ضرورة توحيد المصطلحات الخاصة بالأدب الإسلامي.
٤) ضرورة توسيع الترجمة من أدبنا الإسلامي إلى الآخر وبالعكس حتى تتسع دائرة الحوار والتكامل بين الشعوب ولاسيما الإسلامية منها. على

أمل التكامل الذي يربط ويوحد بين أبناء الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها وتتواصل الأجيال في دربها الصاعد نحو مشارق الكمال نحو الحقيقة المطلقة مالك الكون والوجود الله الخالق نور السموات والأرض.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أبتهل إلى الله عز وجل أن يكتب لهذا الجد الذي بذلته التوفيق، وأن يشدَّ أزر المسلمين ويحقق لهم عزًّا دائما، ونصراً موصولا، إنه خير مسؤول، وأكم مجيب .

المراجع:

١) أحلى قصائدي، قصيدة خبز وحشيش وقمر، نزار قباني.
٢) الأدب الإسلامي أصوله وسماته، محمد حسن بريغش.
٣) الأدب الإسلامي المعاصر، أ. جمال سلطان.
٤) الأدب بين الالتزام والإلزام، د. عبد القدوس أبو صالح.
٥) أدب نجيب محفوظ واشكالية الصراع بين الإسلام والتغريب، د. أحمد السيد فرج.
٦) أدب نجيب محفوظ.
٧) الاستشهادية الأولى في انتفاضة الأقصى، جهاد الرجبي.
٨) الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر التهامي، المجلد الثاني، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢م.
٩) الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر محمد التهامي، قصيدة معجزة الإسراء والمعراج.
١٠) آفاق الأدب الإسلامي، د. نجيب الكيلاني، ط أول مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥.
١١) الإنسان في الأدب الإسلامي، د. محمد عادل الهاشمي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، العزيزية.
١٢) البحار تسأم لونها، جهاد الرجبي.
١٣) التجربة والصورة في شعر محمد أحمد العزب، د. أماني محمد عبد الفتاح، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالاسكندرية، العدد الثاني والعشرون ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
١٤) جماليات القصيدة المعاصرة، د.طه وادي، ط أولى، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان٢٠٠٠ القاهرة.
١٥) الحداثة في الشعر العربي المعاصر، د. محمد العبد حمود، ط أولى، الشركة العالمية للكتاب، بيروت ١٩٩٦م.

١٦) الحرام " رواية "، يوسف ادريس، مكتبة غريب مصر.
١٧) خنساء فلسطين الثانية أم الشهيد محمود العابد، جهاد الرجبي.
١٨) ديوان عبد الرحمن شكري قصيدة الموت.
١٩) ديوان قلب ورب، للشاعر عمر بهاء الدين الأميري، ط أولى ١٩٩٠م.
٢٠) ديوان مدينة الكبائر – شعر، د. نجيب الكيلاني، ط أولى، مؤسسة الرسالة ١٩٨٨.
٢١) رواية زقاق المدق.
٢٢) الرومنتيكية، د. غنيمي هلال.
٢٣) سورة الحج الآية رقم٢٤.
٢٤) سورة الحجر الآية رقم ٩.
٢٥) سورة فصلت الآية رقم
٢٦) سورة ق الآية رقم ١٨.
٢٧) الشعر الإسلامي واشكاليات التذوق الجمالي المعاصر " شهداء الأقصى نموذجاً "، د. أماني محمد عبد الفتاح.
٢٨) الشعر العربي في المهجر، محمد عبد الغني حسن.
٢٩) الشعراء الآية ٢٢٧.
٣٠) شعرنا الحديث إلى أين، د. غالي شكري، ط أولى، دار الشروق ١٩٩١م.
٣١) عروس تزفها السماء، جهاد الرجبي.
٣٢) الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي.
٣٣) فلسفة الفن في الفطر المعاصر، د. زكريا إبراهيم، والنشاط الفكري عند دكتور زكي نجيب محمود، ط مصر١٩٦٦.
٣٤) فن السيرة، د. إحسان عباس، سلسلة الفنون الأدبية، ط السادسة، القاهرو ١٩٨٩م.
٣٥) الفن والحرية صديقان قديما، عباس محمود العقاد، مجلة الهلال سبتمبر ١٩٥٠.

٣٦) فنون وشجون، عباس محمود العقاد، مقال التراث العربي ومسائل احيائه في هذا العصر، ط دار الجيل بيروت.
٣٧) في التاريخ فكرة ومنهاج، سيد قطب.
٣٨) قراءة جديدة في الشعر العربي الحديث، د. سعد دعبس، ط أولى ١٩٩٠.
٣٩) قصيدة حوار – أدونيس.
٤٠) قصيدة فداء الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، للشاعر الدكتور خالد حسن هنداوي، القاها الشاعر في إحدى الندوات الثقافية.
٤١) لا نخدع أنفسنا حتى يخدعونا، عباس محمود العقاد، مطالعات في الكتب.
٤٢) اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها، حافظ إبراهيم، ديوان حافظ إبراهيم، ط مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٧ القاهرة.
٤٣) مدخل إلى الأدب الإسلامي، د. عماد الدين خليل.
٤٤) مدخل إلى الأدب الإسلامي، د. نجيب الكيلاني.
٤٥) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، د. عماد الدين خليل.
٤٦) المرفأ " مجموعة قصصية ": قصة المرفأ، محمود مفلح، ط دار المعرفة، دمشق.
٤٧) مستقبل اللغة العربية، جبران خليل جبران، من المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران، ط دار صادر، بيوت ١٩٥٩.
٤٨) مطالعات في الكتب، عباس محمود العقاد، مقال الأدب كما يفهمه الجيل، ط القاهرة، دت.
٤٩) مقالات في الأدب الإسلامي، د. عمر عبد الرحمن الساريسي، ط أولى عمان الأردن ١٩٩٦.
٥٠) مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي، د. مصطفى عليان، ط أولى، دار المنارة، جدة، السعودية ١٩٨٥.

٥١) من الشعر الإسلامي الحديث – مختارات من شعراء الرابطة الإسلامية – ط أولى، دار البشير الأردن ١٩٨٩م.
٥٢) من قضايا الأدب الإسلامي، د. صالح آدم بيلو، دار المنارة السعودية، ط أولى ١٩٨٥م.
٥٣) منهج الفن الإسلامي، أ. محمد قطب، ط الرابعة، دار الشروق، القاهرة ١٩٨٠م.
٥٤) موقف الرافعي من دعاة العامية واللغات الأجنبية، د. عبد المنعم يونس.
٥٥) نجيب محفوظ الرؤية والأداة، د. عبد المحسن طه بدر.
٥٦) نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، د. رأفت الباشا.
٥٧) نظرية الأدب في ضوء الإسلام، د. عيد الحميد بوزوينة، ط أولى، دار البشير، الأردن ١٩٩٠م.
٥٨) النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، دار الشروق، ط السادسة ١٩٩٠م.
٥٩) الهجوم على الإسلام في الروايات الأدبية، أحمد أبو زيد.
٦٠) الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، د. أحمد بسام ساعي، ط أولى، دار المنارة، جدة، السعودية ١٩٨٥م.

المجلات:

٦١) مجلة الأدب الإسلامي، الأدب العفيف، د. أحمد عطية السعودي، المجلد الحادي عشر، العدد الثاني والآربعون.
٦٢) مجلة الأدب الإسلامي، المجلد الأول، العدد الثالث، ص١١ بتصرف، مقال منهج الأدب الإسلامي في السيرة الذاتية.
٦٣) مجلة الأدب الإسلامي، المجلد الأول، العدد الثالث، محرم ١٤١٥هـ، مقال منهج الأدب الإسلامي في السيرة الذاتية، د.محمد رجب البيومي.

٦٤) مجلة الأدب الإسلامي، المجلد الحادي عشر، العدد الواحد والأربعون ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، مقال قراءة في ديوان خفقات قلب للشاعر عبد الحفيظ صخر، بقلم الأستاذ محسن عبد المعطي.
٦٥) مجلة الأدب الإسلامي، المجلد الحادي عشر، العدد الواحد والأربعون، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٦٦) مجلة الأدب الإسلامي، المجلد الخامس، العدد التاسع عشر١٤١٩هـ، مقال قراءة نقدية في ديوان مدائن الفجر، للأستاذ محمد شلال الحناحنة.
٦٧) مجلة الأدب الإسلامي، المجلد السادس، العدد الثاني والعشرون ١٤٢٠هـ.
٦٨) مجلة الأدب الإسلامي، المجلد العاشر، العدد التاسع والثلاثون ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، قصيدة إذا غاب هديك للشاعر الدكتور عماد الدين خليل.
٦٩) مجلة الأدب الإسلامي، انتشار اللغة العربية، أ. عبد الرحمن بن حمد الحقيل،، المجلد الخامس العدد العشرون ١٤١٩هـ.
٧٠) مجلة الأدب الإسلامي، بين الفصحى والعامية، د. بتول حاج أحمد، المجلد العاشر، العدد السابع والثلاثون ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٧١) مجلة الأدب الإسلامي، شخصية الأديب المسلم في حياة الرافعي ورسالته، د.محمد أبو بكر حميد،، المجلد الحادي عشر، العددان الثالث والأربعون والرابع والأربعون، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٧٢) مجلة الأدب الإسلامي، مقال أللفجر مدائن للدكتور محمد بن سعيد بن حسين، المجلد الخامس، العدد العشرون١٤١٩هـ.
٧٣) مجلة الأدب الإسلامي، من مقال الابداع الفني بين الخير والشر، د.محمد السيد الدسوقي، المجلد الحادي عشر، العدد الثاني والأربعون ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٧٤) مجلة الأدب الإسلامي، موقف الرافعي من دعاة العامية واللغات الأجنبية، د. عبد المنعم يونس، المجلد الحادي عشر، العددان الثالث والأربعون والرابع والأربعون ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٧٥) مجلة الأزهر مقال لا تخاف من الموت، د. محمد رجب البيومي، د.ت.
٧٦) مجلة اللغات والترجمة، انظر دراسة تقدية تناولت قصصها القصيرة، بعنوان القصة الفلسطينية القصيرة المعاصرة – جهاد الرجبي نموذجاً – مقاربة في المضمون وتقنيات الفن القصصي، د. أماني محمد عبد الفتاح، كلية الألسن،المجلد الثاني، العدد الثالث، الجزء الأول، عدد خاص فعاليات المؤتمر الدولي الثالث لكلية الألسن، جامعة المنيا " تحديات اللغة والثقافة في مواجهة العولمة ٣-٥ إبريل٢٠٠٦م.
٧٧) مجلة المجتمع، نون النسوة التي يحاولون وأدها، محمد شلال الحناحنة، العدد ١٣٥٨، ٢٩ ربيع الأول ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٧٨) مجلة المستقبل، انين الفصحى بين علال الفارسي وحافظ إبراهيم، حسني عبد الحافظ، العدد ١٥٩، رجب ١٤٢٥هـ سبتمبر ٢٠٠٤م.
٧٩) مجلة الملتقى، مقال: في حضور المصطلح، د. جابر قميحة.
٨٠) المشكاة، مقال رحلة مع الريح والجذوة، للأستاذ محمد حسن بريغش، عدد ٤٤/٤٣.

الموقع الشبكة العنكبوتية:

٨١) http://aqsagirl.eyelash.ps/raf3i/ymamtan.htm
٨٢) http://www.adabishlmi.org/arabic/abuotus.html
٨٣) http://www.alwihdah.com/view.asp?cat=7&id=3
٨٤) http://www.arsbcorner.net/page/poetry
٨٥) http://www.islamonline.net/arabic/arts/2005/04/article04.shtml

٨٦) http://www.palestine-info.cc/arabic/poems/hamasion.htm
٨٧) http://www.saaid.net/what/q63.htm
٨٨) أجنحة تفردها الحروف للشاعر محمود مفلح:
http://www.Palestineinfo.cc/arabic/poems/ajneha.htm
٨٩) الأدب بين الالتزام والإلزام، د. عبد القدوس أبو صالح بتصرف:
http://www.islamtoday.net/hk/muhakah_view.asp?nush_no=16
٩٠) الأدب بين الجمال والزخرف، د.عدنان علي رضا النحوي، انظر موقع الشبكة العنكبوتية: http://www.alnahwi.com
٩١) الإنسانية الفنية في قصيدة امرأة العزيز تعترف، د. جابر قميعة بتصرف، انظر موقع الشبكة العنكبوتية:
http://www.lahaonline.com
٩٢) انظر موقع الشبكة العنكبوتية لها أون لاين:
http://www.lahaonline.com//index.php?option
٩٣) انظر موقع الشبكة العنكبوتية:
http://www.lailaatrash.com/presentation/alrai%20althaqafi.htm
٩٤) تحديات اللغة العربية، د. محمد أبو الخير، أخبار اليوم بتصرف. انظر الموقع على الشبكة العنكبوتية:
http://www.akhbarelyom.org.eg/akhersaa/issuse/3732/0206.htm1
٩٥) حول نظرية الأدب الإسلامي: حوار مع الدكتور صابر عبد الدايم:
http://www.sbahat.com/vb/archive/index.php/t-1341.html

٩٦) الشعر والوجود، عبد الكريم درويش، انظر موقع الشبكة العنكبوتية:
http://maale.50megs.com/seventh_issue/poetry_and_leing.htm

٩٧) غب يا هلال، للشاعر الدكتور عبد الرحمن العشماوي، انظر موقع الشبكة العنكبوتية:
http://www.alshamri.net/sh3r/ashmaewee/poem27.htm1

٩٨) قراءة ثانية في مقدمة ابن خلدون، نزار قباني، انظر إلى الشبكة العنكبوتية:
http://nizar.ealuon.com/poet.php?action=fullnews&phaur.coments=1tid=2

٩٩) قصيدة أشهد أن لا امرأة إلا أنت، نزار قباني، انظر إلى موقع الشبكة العنكبوتية: http://nizar.ealwan.com

١٠٠) قصيدة الإله الميت- أدونيس، انظر موقع الشبكة العنكبوتية:
http://www.adab.com/modules.php?name=sh3er&douhat=shqas&qid=72666

١٠١) قصيدة فك الطلاسم للدكتور ربيع عبد الحليم سعيد، انظر موقع الشبكة العنكبوتية: http://www.adab1.com/ilea5.htm

١٠٢) قصيدة قالوا تطرف جيلنا، للشاعر الدكتور عبد الرحمن العشماوي، انظر موقع الشبكة العنكبوتية:
http://www.alshamri.net/sh3r/ashmawee/poem52.htm1

١٠٣) لغة الخصيئة، أدونيس، انظر إلى الشبكة العنكبوتية:
http://www.adab.com/modules.php?name=sh3en&douhat=phqes&qid=72661

١٠٤) الليل آذن بالرحيل، د. عبد العزيز الرنتيسي، انظر موقع الشبكة العنكبوتية:
http://alrakifah.org/vb/archive/index.php?t_39569htm1

١٠٥) مع مفهوم الأدب الإسلامي، د. عدنان النحوي بتصرف، انظر موقع الشبكة العنكبوتية: http://www.islamselect.com

١٠٦) مقال الزواج يقضي على ابداع النساء!، د. جابر قميحة بتصرف، انظر مقع الشبكة العنكبوتية: http://www.lahaonline.com

١٠٧) مقال عن السيرة الذاتية، عبد الله المدني، انظر موقع الشبكة العنكبوتية: http://www. ……artical…..artical15068

١٠٨) مقال فلسطين لا تعرف الموت، جهاد الرجبي، انظر موقع الشبكة العنكبوتية: http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/fan_34marooj4.asp

١٠٩) من آليات الفن القصصي في شعر نجيب الكيلاني، د. جابر قميحة، انظر موقع الشبكة العنكبوتية:
http://www.adabarham.net/show.php?sid=8931

١١٠) من مقال النص الهادف تربية وتهذيب د. حسن بن فهد الهويمل بتصرف:
http://www.suhuf.net.sa/2005jaz/jun/21/or3.htm

١١١) من مقال محمد صلى الله عليه وسلم محرر الإنسان الومان والمكان، د. محمد أحمد العزب، بتصرف، مجلة الأمة العدد ١٥، ربيع الأول ١٤٠٢هـ، انظر موقع الشبكة العنكبوتية:
http://www.fuetat.com

١١٢) من مقال مفاهيم مغلوطة في الأدب والفكر والثقافة د. وليد قصاب بتصرف: http://www.alwfaa.net/summary/id=15